ISSN 2305-591X

عدد خاص

Yanabee'a

ينابيع

٦٠

مَجلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بنَشرِ فِكرِ أَهْلِ البَيْت عليهم السلام/ السَّنة ١١/ العَدَد ٦٠ المحرم الحرام - صفر ١٤٣٦هـ/ تشرين٢ - كانون١ ٢٠١٤م

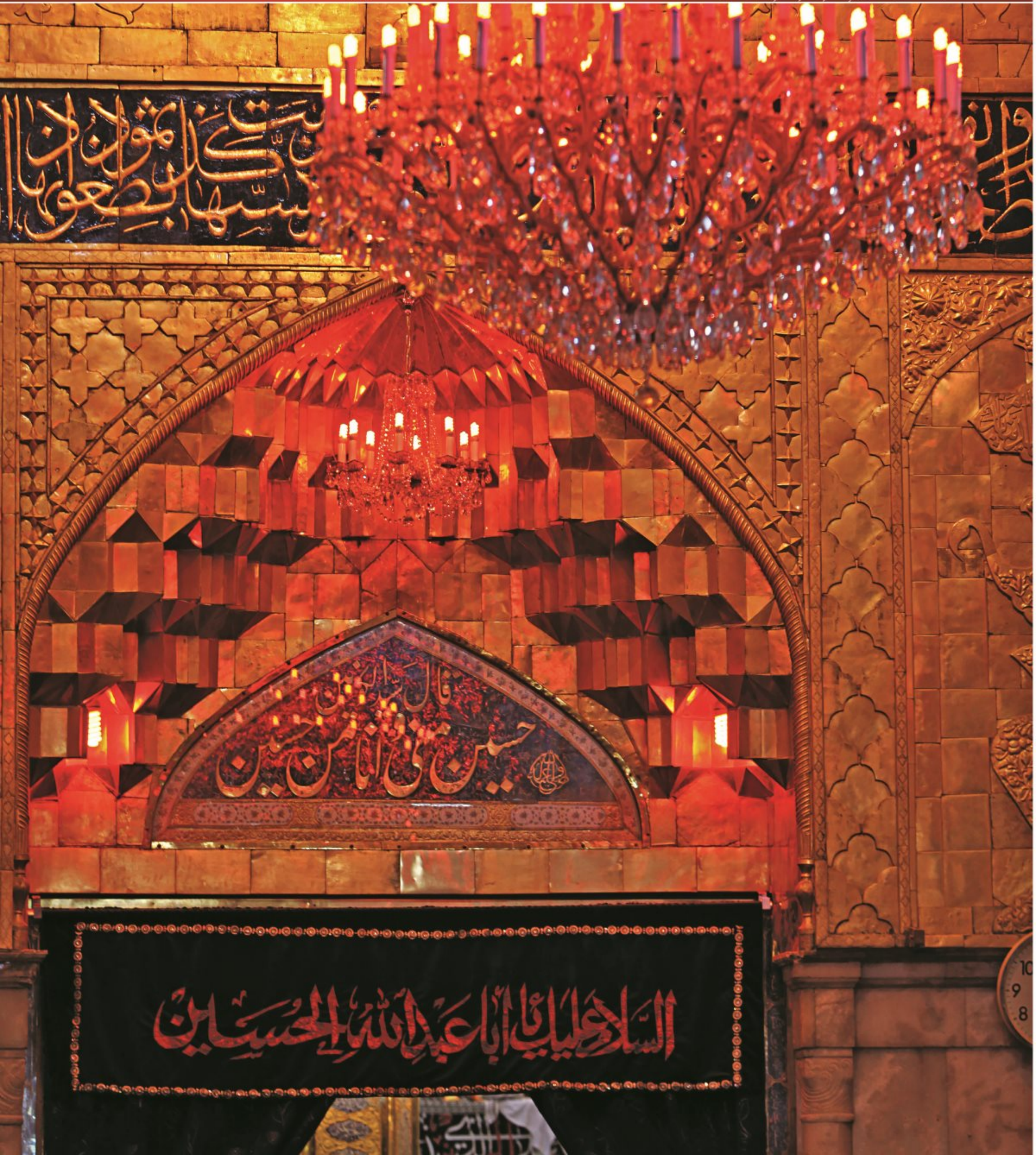

ينابيع ٦٠

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

موسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
ضياء حسن

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) موبايل: ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

الرائد للطباعة ـ النجف الأشرف

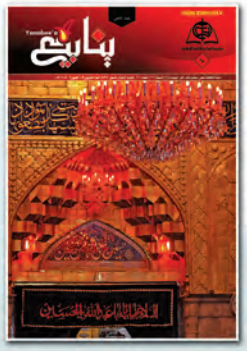

عدد خاص:

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ٢٠٠٥/١١/١٦ م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات الى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواءً أنشرت أم لم تنشر.

(يا نجعة الحيين)

الشيخ عبد الحسين صادق العاملي •

عهدي بربعهم أغنّ المعهَد ... وندّيه يفتر بالروض الندي
ما باله درس الجديدُ جديدَه ... ومحا محاسن خدّه المتورد
أفلّت أهلّته وغابت شهبه ... في رائح للنائبات ومُغتدي
زمّت ركاب قطينه أيدي سَبا ... تفلي الفلاة بمتهِم وبمنجد
ولقد وقفت به ومعتلج الجوى ... بجوانحي عن حبس دمعي مقعدي
فتخالني لضناي بعض رسومه ... ولحرّ أحشائي أثافي مَوقَد
أرنو إليه وناظري مُتقسّم ... بطلوله لمصوَبٍ ومُصعّد
ما أن أرى إلا الحمائم هُتّفاً ... ما بين غِرّيد وصيداح شَدي
ناحت ونِحتُ وأين مني نوحُها ... شتان نَوح شجٍ وسجع مُغرّد

لي لا لها العين المرقرق دمعها ... والمهجة الحراء والقلب الصَدي
حِجرٌ على عيني يمر بها الكرى ... من بعد نازلة بعترة (أحمد)
أقمار تمٍّ غالها خسف الردى ... واغتالها بصروفه الزمنُ الردي
شتى مصائبهم فبين مكابدٍ ... سُمّا ومنحور وبين مُصفّد
سَلّ كربلا كم مُهجَة (لمحمدٍ) ... نُهبت بها وكم إستجذت من يد
ولكم دم زاكٍ أُريق بها وكم ... جثمان قُدسٍ بالسيوف مُبدّد
وبها على صدرِ الحسين ترقرقت ... عبراته حُزناً لأكرم سيّد
وعلّي قدر من ذوابة هاشم ... عبقت شمائله بطيب المحتد
أفديه من ريحانة رَيّانة ... جفّت بحر ظَما وحرّ مُهند
بكر الذبول على نَضارة غُصنه ... إن الذبول لآفة الغصن الندي
ماء الصبا ودم الوريد تجاريا ... فيه ولاهب قلبه لم يخمد
لم أنسه متعمّما بشبا الضُبا ... بين الكماة وبالأسنّة مرتدي
يَلقى ذوابلها بذابل معطفٍ ... ويشيم أنصلها بجيد أجيَد
خضبت ولكن من دم وفراته ... فاحمرّ ريحان العِذار الأسود
جمع الصفات الغُر وهي تراثه ... من كل غطريف وشهم أصيد
في بأس حمزة في شجاعة حيدر ... بإبا الحسين وفي مهابة (أحمد)
وتراه في خلق وطيب خلائق ... وبليغ نطق كالنبي (محمد)
يرمي الكتائب والفلا غصّت بها ... في مثلها من عزمه المتوقد
فيردّها قَسرا على أعقابها ... في بأسِ عِرّيس العرينة مُلبد
ويؤوب للتوديع وهو مجاهدٌ ... لظما الفؤاد وللحديد المجهد
صادي الحشى وحسامه ريّان من ... ماء الطلا وغراره لم يبرد
يشكو لخير أب ظماه وما اشتكى ... ظمأ الحشى إلا إلى الضامي الصدي
فانصاع يُؤثره عليه بريقه ... لو كان ثَمّة ريقة لم تجمد
كلُّ حشاشة كصاليةِ الغضا ... ولسانه ظمأٌ كشقّةِ مبرد
ومذ انثنى يلقى الكريهة باسما ... والموت منه بمسمَع وبمشهد
لفّ الوغى وأجالها جول الرحا ... بمثقّفٍ من بأسه ومُهنّد

عـثر الـزمان بـه فغـادر جسمه ... نهب القواضب والقنا المتقـصد
ومحى الردى يا بئس ما غال الردى ... منه هِلال دُجاً وغـرة فـرقـد
يا نجعـة الحيين هاشـم والندى ... وحِـمى الذمارين العُلى والسودد
كيف ارتقت هِمَمُ الردى لك صعـدة ... مطـرورة الكعبيـن لـم تتـأود
فلتذهب الدنيا عـلى الـدنيا العفـا ... ما بعد يومك مـن زمانٍ أرغـد

مُحتَوياتُ العَدَد (عدد خاص)

كلمة العدد

فاجعة الطف عَبرة وأسرار

المشرف العـــام..... ٨

العدد الخاص

فلسفة إحياء ذكرى فاجعة الطف

سماحة الشيخ جميل الربيعي..... ١٠

تاريخ التعزية والرثاء الحسيني

د. سلمان هادي آل طعمة..... ١٦

الذاكرة الحسينية.. هوية نهضة الإسلام

الشيخ د. حسن كريم الربيعي..... ٢٢

البلاغة في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في الطف

أ.د. مشكور كاظم العوادي..... ٢٨

ريحانة الزهراء.. زينب الكبرى عليها السلام

طالب علي الشرقي..... ٣٦

الاتجاهات العقدية لقتلة الحسين عليه السلام

د. عـــلي الفحـــام..... ٤٢

سيد الشهداء عليه السلام والقرآن

أ.م.د خليل خلف بشير..... ٤٨

قصيدة (كوكب الفرد) عن الإمام الحسين عليه السلام

بولس سلامة..... ٥٤

نهضة الإمام الحسين وصلح الإمام الحسن عليهما السلام

د. ثائر النصراوي..... ٥٦

ومضات مضيئة من حياة العباس عليه السلام

أ.م.د. عبد الإله العرداوي..... ٦٢

الأمن النفسي لدى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

د. نجم عبد الله الموسوي..... ٦٦

ص ١٠

ص ١٦

ص ٤٨

ص ٦٦

دوافع النهضة الحسينية

سكينة الربيعي..... ٧٢

تضحية الإمام الحسين عليه السلام.. في ضمير الشاعر الطباطبائي

د. حسين لفته حافظ..... ٧٨

فلسفة الموت عند الإمام الحسين عليه السلام

أ.م.د عباس علي الفحام..... ٨٤

سيدة الطف عليها السلام

د. مجيد حميد الحدراوي..... ٩٢

دلالة الاستفهام في خطب يوم عاشوراء

م.م عقيل جواد الياسري..... ٩٨

الإمام الحسين عليه السلام وتشخيص أسباب الفشل

د.محمد كاظم الفتلاوي..... ١٠٤

من وحي النهضة الحسينية

م.م. أحمد جاسم ثاني الركابي..... ١١٠

نهضة الإمام الحسين عليه السلام في نظر ابن تيمية

د. فلاح رزاق الرماحي..... ١١٤

الساعة الأخيرة

م.فارس عطية الحداد..... ١٢٣

صورة من الطف ٣٥

الإمام الحسين عليه السلام في الفكر الغربي..... ٦١

أشعار في الطف..... ٧١

الإمام الحسين عليه السلام في كتب العامة..... ٨٣

حدث في مثل هذا الشهر..... ٩٠

أجوبة مسابقة العدد (٥٧) (٥٨) ١٢٤

مسابقة العدد (٦٠)..... ١٢٥

ص ٧٢

ص ٩٢

ص ١٠٤

ص ١١٤

كلمة العدد

فاجعة الطف عَبرة وأسرار

بسم الله الرحمن الرحيم

تمر علينا في هذه الأيام ذكريات أليمة طالما مرت على الأمة الإسلامية بحرارة الحزن.. وألم الفجيعة.. وقد شاء الله تعالى أن يهيئ لهذه الفاجعة أناساً يقيمون المآتم وينصبون العزاء كلما مرت ذكراها عبر المئات من السنين الماضية، حتى أحييت بأبهى صورة، وتوقدت كلما مرت ذكراها بأعبق رسم، تحقيقاً للوعد الإلهي بإبقاء ذكر هذه الفاجعة وعطرها الفواح وميسمها الفذ. وقد جاء ذلك مكرراً على ألسنة الروايات الشريفة المعبرة عن ذلك الوعد الإلهي بتهيئة أناس يقومون بهذه المهمة الصعبة.

وما نراه اليوم من اهتمام هذه الطائفة المحقة بإحياء هذه الفاجعة وبذل كل غال ونفيس من أجل التعبير عن الأحاسيس الجياشة، والعواطف المفعمة بحب أهل البيت (عليهم السلام) لأقوى شاهد على ذلك.. ومن الجدير بالذكر هنا التنبيه لأمرين:

الأول: الاهتمام باستدرار الدمعة والتأمل في استذكار ما جرى على سيد الشهداء عليه السلام، وتصويره بشكل تهتزّ له العواطف الإيمانية، وترق له القلوب، وتنهمر منه الدموع، والابتعاد عن الأمور الجانبية الأخرى التي قد تتهيأ لها الأجواء المشحونة بالعواطف، فقد أكدت النصوص الشريفة على الدمعة، وفضلتها على غيرها بأنواع الفضل، بل لم تتضمن النصوص التي أخذت من أفواه المعصومين عليهم السلام إلا البكاء والدمعة والحزن والجزع ونحو ذلك وأعرضت عن غيرها من المعاني التي يمكن أن تطرح في هذه المحافل الملتهبة بالعواطف، و المكهربة بحب سيد الشهداء عليه السلام، وما إعراض الأئمة عليهم السلام عن ذلك نسياناً له أو غفلة عنه، بل اهتماماً منهم بالدمعة والحزن وأنه يحمل في طياته كل المعاني الأخرى التي يمكن أن تسهم في إبداء حالات خاصة.

بل عزوف المعصومين عليهم السلام عن كل ما هو خارج الدمعة والبكاء والحزن والجزع ونحو ذلك يكشف عن سرٍ خاص في هذه المعاني، وأنها الكفيلة بترويج الدين وإحياء كلمة الله تعالى في الأرض.

لذا لابد من الابتعاد عن الاجتهادات الخاطئة وتسويق الأفكار الدخيلة على هذه الفاجعة التي يمكن أن تصدر من مروجي بعض الأفكار الخارجة عن أطر النصوص الشريفة ـ بحسن نية أو سوء نية ـ والالتفات إلى أن النصوص لم تسق قضية سيد الشهداء عليه السلام والفاجعة التي ألمت به من أجل تحقيق مكاسب سياسية أو اجتماعية أو غير ذلك، بل لم يستفد أئمة أهل البيت عليهم السلام من فاجعة كربلاء أكثر من البكاء عليه والألم والحزن

والجزع وكان بإمكانهم الاستفادة منها في شتى أنواع المجالات، بل حتى مثل تنبيه الشيعة إلى المكاسب التي يمكن أن تجنى بتسويق قضية كربلاء بالنحو الذي نشير إليه. وما ذلك إلا لأهمية الجانب الذي أكدوا عليه، وانطواء كثير من الأسرار في خباياه، ونحن بدورنا كأتباع لابد لنا من الالتزام بالتعاليم الإسلامية المستقاة من منبع العصمة والنبوة وعدم الخروج عنها.

نعم يبقى التأكيد على قوة النفس والدفاع عن هذا المبدأ بشتى أنواع السبل وعدم الانهيار أمام الموجة الكبيرة التي يمكن أن تجتاح الكثير من القواعد الشعبية لهذه الطائفة.

الثاني: التأمل في هذه الفاجعة وأبعادها التأريخية والمعاصرة حيث لم تشهد واقعة عبر تأريخ البشر ما شهدته هذه الواقعة وحظيت به من اهتمام السماء رغم المآسي البشرية الكثيرة والفجائع التي حلّت بالرموز الدينية من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم، وما نالوه من أممهم وأشياعهم، وقد ساهم القرآن الكريم في كثير من آياته في نقل الانتهاكات البشرية للأنبياء والأوصياء تعذيباً وقتلاً وتشريداً، ومع ذلك لم يحظ أحد بما حظي به سيد الشهداء من التذكير بمصيبته والحسرة عليه، وقد حفلت النصوص الشريفة ببيان ذلك حتى روي في بكاء الأنبياء عليه من آدم عليه السلام إلى نوح، ومروراً بإبراهيم وموسى وعيسى ويحيى وختاماً بخاتم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ما يبهر العقول وتقف عنده النفوس تعجباً من هول ما جرى وأبعاده على جميع الأصعدة الغيبية .

ولو رمت التعدي عن ذلك لرأيت النصوص تؤكد على نوح الملائكة عليه، والجن، وكل حجر ومدر، والبحار، والأنهار، والوديان، والجبال.

بل تظافرت النصوص على نوح فاطمة عليها السلام بعد مماتها عليه حتى تقوم الساعة وهي لاطمة.. نادبة.. باكية.. تارة تنشر قميصه وعليه أثر الطعن والضرب.. وأخرى تعقد المجالس بمحضر الملائكة وتندبه وتبكي عليه.. كل ذلك في عالم الأرواح وفي الملكوت الأعلى.. ليت شعري ما أبعاد هذه الفاجعة إذن.. وما هي الأسرار التي تنطوي عليها لتخلف هذه النتائج.. وتورث الكرب والبلاء على أهل البيت عليهم السلام وهم عند الرفيق الأعلى.. وفي جنة الخلد ينوحون ويبكون.. بل روي أن لفاطمة عليها السلام شهقة تعج لها نار جهنم فتخلد الملائكة حينئذٍ إلى التسبيح والتحميد والمجيد حتى تهدأ.

فلو تأمل المتأمل في هذه النصوص ولاحظها بشكل منصف لعلم أن في خبايا واقعة الطف من الأسرار العجيبة والمزايا الفريدة مالا يعلمه إلا الله أو من اختصه الله بعلمه ولعله لذلك يشير زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام حينما سأله أبو حمزة الثمالي عن الكف عن البكاء على الحسين عليه السلام فأجابه مستشهداً بالآية الكريمة (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) وكفى به جواباً شافياً لأولي الألباب.

نسأل الله تعالى أن نكون ممن دعي فأجاب، نتوجه حيثما توجهنا الرسالة السماوية لنبتغي عند الله الأجر وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فلسفة إحياء ذكرى فاجعة الطف

الشيخ جميل الربيعي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

لم يكن إحياء ذكرى سيد الشهداء عليه السلام على طول الزمن مجرد عادات وتقاليد وأعراف تعارفت عليها الأمة، ولم تكن مجرد إثارة للعواطف وإسالة للدموع، وإنما أمر أئمة الهدى عليهم السلام بإحياء تلك الفاجعة في كل آن وزمان لأهداف رسالية بنّاءة، وقد يتصور البعض أن شيعة أهل البيت اعتادوا عليها؛ لأنها (فلكلور) تاريخي كما صور بعض الذين لا يفهمون فلسفة الوجود وعلة الإيجاد في مسيرة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم.

إننا حين نحييها إنما نحيي الفكر الإسلامي بكل أبعاده الإلهية فكرياً وأخلاقياً وسياسياً واجتماعياً وثورياً؛ لأن أهل بيت النبوة والعصمة والطهارة في اعتقادنا هم المصداق العملي للإسلام شكلاً ومضموناً.

ولأجل تحقيق الأهداف التي حدّدها أئمة الهدى للأمة من عملية الإحياء لا بد من تعريفها بتلك الأهداف كما ورد في الحديث الوارد عن الإمام الرضا عليه السلام: **(رحم الله عبداً أحيا أمرنا)** فقيل له: وكيف يُحيا أمركم؟ فقال: (يتعلم علومنا، ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)[1].

وباختصار نستطيع أن نحدد فلسفة إحياء هذه الذكرى بالنقاط الآتية:

أولاً: لتبقى نداءات الإسلام حيّةً نابضة بالحركة التغييرية والإصلاحية الشاملة لكل أوضاع المسلمين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال الحسين عليه السلام الذي يمثله مصداقاً ومفهوماً، بل شكلاً ومضموناً؛ ولذا ضحّى من أجلها بنفسه وأهله وأصحابه؛ لتبعث روح الثورة والرفض في النفوس على مسار الزمن وإلى يوم القيامة، فصرخة الحسين عليه السلام لا تنحصر في زمن دون آخر، وإنما هي باقية خالدة بخلود الإسلام، ومن هنا جاء الحديث الشريف: (حسين مني وأنا

من حسين)[٢] فحسينٌ من رسول الله ﷺ فلذة كبده، ورسول الله من الحسين عليه السلام لأن شجرة الإسلام سُقيت بدمه الزكي، وبقيت حية نابضة بالحياة والحركة والنهوض ومصارعة عواصف الانحراف المتجددة على طول التاريخ.

ثانياً: لقد أمر أئمة الهدى عليهم السلام بإحياء هذه المناسبة، لأجل أن تبقى مدرسة الإسلام الحسينية داعية للاستقلال الفكري، والنهوض الاجتماعي، والتحرر السياسي، والسمو الأخلاقي على طول مسار الرسالة الإلهية، تستنهض الهمم، وتحرر إرادة الإنسان من عبودية الهوى والطاغوت السياسي والفكري، وتحطم عروش الظالمين، وبذلك تكون مجالس الإحياء هذه مرآة كاشفة عن الواقع الفاسد لتوجه إليه أنظار المخلصين وتغيره إلى الواقع الإسلامي السليم وفق منهجية أهل بيت الرسالة تعلم وتعليم وتغيير روحي وفكري وأخلاقي وسياسي واجتماعي...

ثالثاً: إن وعي حركة الحسين عليه السلام ترفع درجات محييها عند الله إلى مستوى الإنسانية الحقّة؛ لأنها تحرره من ضغط الشهوات الداخلية، وتبعث في نفسه روح الرفض لكل أشكال التيارات الفكرية المنحرفة، والإغراءات الدنيوية المزخرفة وبذلك يكون المحيي متحرراً من أهوائه، ليكون حاملاً لواء العدل الإلهي، وبذلك يكون مسلماً حقيقياً بوعي تلك الذكرى؛ لأن مدرسة الحسين عليه السلام هي مدرسة صناعة الإنسان بكل ما للكلمة من أبعاد؛ ولهذا ينبغي بل يجب على كل المتصدين لإحياء هذه الذكرى أن يضعوا نصب أعينهم مسؤولية إحيائها بوعي ومعرفة؛

تجسد الإسلام الحقيقي في مواقف وكلمات وتضحيات ونداءات وصرخات الحسين وأهل بيته عليهم السلام، ولتمثل كل أبعاد النهضة في جانبيها الفكري والعاطفي، ولذا يجب أن نوازن بين الجانب الفكري الواعي والعواطف الناضجة؛ لتفجر العواطف الحسينية العقائد الإلهية في نفوس حامليها، وتجسد تلك الشعائر الأحكام الشرعية، والأخلاق الإسلامية ، والعقائد السليمة التي ضحّى من أجلها الحسين عليه السلام بكل وجوده، فأعطى كل شيء لله تعالى وأعطاه الله الخلود والبقاء في ضمير الإنسانية إلى يوم القيامة، وبذلك يكون إحياء هذه الذكرى تصحيحاً لمسار المسلمين على طول الزمان، وبذلك يكون الحسين عليه السلام مقياساً وميزاناً لكل حركة إسلامية تدعي نصرة الإسلام والنهوض الاجتماعي.

رابعاً: ومما لا يشك فيه عاقل منصف أن نهضة الحسين عليه السلام تحمل الهدى والنور لجميع الناس من ذوي الضمائر الحية في الوقت الذي تحمل فيه إشارات الموت والدمار والفناء للظالمين في جميع الأجيال على امتداد بقاء الإنسان على الأرض، فإحياء ذكرى الحسين عليه السلام هي إحياء للحقّ في النفوس، وكلّ دمعة تراق لمأساة الطف تغسل أدران القلوب، وتزكي النفوس، وتبعث الهمم، وتثبت على الحق.

خامساً: ومن علائم العظمة في فاجعة الطف أنها لا تزال حيةً في الضمائر تتجدد في كل عام؛ لتوقظ الغافلين، وترد المنحرفين عن المسار الإلهي إلى جادّة الصواب، وتدفع المجتمع البشري على مرّ الزمن إلى ساحات الجهاد، لتحيي العدل والحقّ والخير والجمال في النفوس، وتدفع الناس جميعاً إلى الخير والعطاء، وتغذيهم بالوفاء والنصيحة والصبر، وتعمل على ترشيد مسيرتهم في الحياة من خلال تهذيب الضمائر، وتنضيج العواطف، وتقويم الأفكار، وتنمية الوعي الرسالي؛ فهي تركز في القلوب أسمى معاني الإنسانية من التحدّي والصبر، والتضحية والفداء، والرحمة والوفاء، والتحرر والاستقلال، وبالتالي هي هندسة بناء الإنسان الحر الكريم الذي لا يخضع لظالم ولا لشهوة.

سادساً: ودعوة الحسين عليه السلام منارٌ يضيء الدرب أمام جميع المصلحين على مختلف مشاربهم ونحلهم، كل يرتشف من بحره الطافح بالقيم الإنسانية العليا، والعقائد الإلهية السليمة، والمواقف الرسالية الصلبة بمقدار سعة ظرفه، وطهارة نفسه، ومستوى وعيه للإسلام؛ ومن هنا لا بد أن نشير أن من لا يعرف الإسلام بكلّ أبعاده العقائدية والتشريعية والأخلاقية لا يمكن أن يعي الحسين عليه السلام بكل أبعاده، ويبقى ارتباطه بالحسين عليه السلام شكلياً عاطفياً وموسمياً... ولذا طريق معرفة الحسين عليه السلام هو وعي الإسلام بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله.

سابعاً: مما لا ريب فيه أن المتأمل في مسيرة إحياء الثورة الحسينية منذ انفجارها وإلى اليوم يرى أن ليس هناك أكثر عطاءً وتضحيةً وفداءً وفضلاً على المسلمين منها؛ لأن الحسين عليه السلام أصبح شعار كل المظلومين؛ فهو المنقذ والمجدّد لهذا الدين الذي كادت العصابة الأموية أن تأتي عليه لولا تلك النهضة الجبارة

التي استأصلت المخطط الإجرامي الذي انطلق من الخط الأموي بعد رحيل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله، فاقتلعته من جذوره، وهدمت بناءه، وتركته قاعاً صفصفا، وبهذا أعادت للإسلام حيويته وإشراقه وحركيته، وللمسلمين وعيهم وهمتهم.

ثامناً: إن نهج الحسين عليه السلام أوضح لنا أهمية الإسلام في حياة الإنسانية، وأنه فوق كل الاعتبارات والقيم والدماء مهما بلغت في قدسيتها، فليس هناك دمٌ في قدسيته فوق دم الحسين عليه السلام الذي هو دم رسول الله صلى الله عليه وآله، فأراقه فداء للإسلام تحت الشعار الزينبي: **(اللهم تقبل منا هذا القربان)**[٣]، ومن هذا النهج يتضح لنا أهمية الإسلام، ويرسم ويضع المنهج الفعال المؤثر لتقدم المسلمين وانتصارهم على طول الزمن.

تاسعاً: إن ثورة الحسين عليه السلام هي الصرخة المدوية على طول التاريخ في الكيانات الطاغوتية فهي التي أسقطت دولة بني أمية، وأنهت وجودها، وأبطلت كل المخططات التي وضعها أعداء الإسلام لتحريفه، وحقاً ما كتبه عباس محمود العقاد في كتابه (أبو الشهداء) حيث قال: (ولم تعمر دولة بني أمية بعدها عمر رجل واحد مديد الأجل فلم يتم لها بعد مصرع الحسين عليه السلام نيف وستون سنة، وكان مصرع الحسين عليه السلام هو الداء القاتل الذي سكن في جثمانها حتى قضى عليها وأصبحت ثارات الحسين نداء كل دولة تفتح لها طريقاً إلى الأسماع والقلوب)، وكما قال الكاتب الألماني ماربين في كتابه السياسة الإسلامية: (إن حركة الحسين في خروجه على يزيد إنما كانت عزمة قلب كبير عزَّ عليه الإذعان وعزَّ عليه النصر العاجل فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ النصر الآجل بعد موته ويحيى به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة)[٤].

وهكذا انتصر الإسلام بدم الحسين عليه السلام بأروع صور النصر ما لم تعرف له الإنسانية نظيراً وبقي صلوات الله عليه محرّكاً للأجيال إلى يوم القيامة، كما وصف الأديب المصري سيد قطب قائلاً: (والحسين-رضوان الله عليه- وهو يستشهد في تلك الصورة العظيمة من جانب، المفجعة من جانب؟ أكانت هذه نصراً أم هزيمة، في الصورة الظاهرة وبالمقياس الصغير كانت هزيمة، فأما في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبير فقد كان نصراً. فما من شهيد في الأرض تهتزّ له الجوانح بالحبّ والعطف وتهفو له القلوب وتجيش بالغيرة والفداء كالحسين- رضوان الله عليه- يستوي في هذا المتشيعون وغير المتشيعين من المسلمين وكثير من غير المسلمين!

وكم من شهيدٍ ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام كما نصرها باستشهاده وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه فتبقى حافزاً محرّكاً للأبناء والأحفاد وربما كان حافزاً محركاً كله مدى أجيال)[٥].

وبعد هذا كله لا بد أن نوضح الخيارات التي وقف أمامها الحسين عليه السلام في نهضته المباركة.

لقد أدرك الحسين عليه السلام حقائق أساسية تجسّدت أمام ناظريه، وهي:

أولاً: جديّة السياسة الأموية في تغيير معالم هذا الدين كمقدمة للقضاء عليه

وإطفاء نوره من خلال مخطط مدروس محكم وضع على المدى البعيد على أيدٍ أخفت كفرها وأبرزت إيمانها وتسللت إلى الصفوف المتقدمة في الدولة الإسلامية، وبدأت تنفيذ مخططها بشكل دقيق بحيث سخرت له كل أموال المسلمين من خلال شراء الضمائر بوضع الأحاديث على لسان رسول الله ﷺ لتحريف الأحكام وإفساد العقائد، وبالتالي تغيير الإسلام المحمدي الأصيل إلى الإسلام الأموي المزيف، وسخرت لذلك كل المخططات الإعلامية والسياسية والفكرية بطريقة محكمة خلاصتها (حاربوا الإسلام بالإسلام من على منبره)، ومن هنا انطلق لعن علي عليه السلام إمام المسلمين من على سبعين ألف منبر في طول الأمة وعرضها.

ثانياً: الخدر الثقيل الذي أصاب المسلمين نتيجة تلك السياسة، فخمدت الأصوات الحرة وكُمّت الأفواه، ومات الرادع الديني في النفوس، وعادت الأمة جثة هامدة لا تسمع ما يقال لها، وإذا سمعت لا تعي حيث انقلبت كل المقاييس، وتغيرت كل الموازين، وصار الناس عبيداً للظالمين يتقربون إليهم بمقدار ما يفيضون عليهم من أموال، بل حتى لو لم ينالوا منهم شيئاً يملأ بطونهم.

ثالثاً: وعى الحسين عليه السلام العلاج الشافي للأمة الذي يوقظ الضمائر وينفض عنها غبار الغفلة والركود ويهز القلوب، وينهض بالأمة ألا وهو الدم، وليس كل دم، وإنما هو الدم الذي غذى الرسالة في بدر وأحد وحنين، وانطلقت منه الإرادة الرسالية المغيرة، ألا وهو دم رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وليس لذلك إلا دم الحسين عليه السلام وأهل بيته، فليس لرسول الله ﷺ ابن غير الحسين عليه السلام آنذاك حيث قال عليه السلام مخاطباً جيوش الضلال بهذه الحقيقة: **(أفتشكون أني ابن بنت نبيكم؟ فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم)**[٦]، فوقف بين إراقة دمه وسبي عياله، وبين حياة رسالته؛ فإما أن يموت هو وتسبى عياله، وبذلك تتبعث روح الرسالة، وتتجدد، وتنسف عروش الظالمين، وتصحح الموازين؛ وإما أن يبقى هو حياً ويموت الإسلام، وبذلك يمرر الخط الأموي بهدوء ورضى منه وإمضاء لكل التحريفات التي وقعت في دين الله، وهيهات أن يرضى بذلك، ومن هنا اختار حياة الرسالة على حياته، فرحل جسده الظاهري، وبقيت روحه الرسالية صارخة أبد الآبدين **(إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدا)**[٧].

رابعاً: الحسين عليه السلام رأى أنه هو المسؤول الأول والوحيد أمام الله تعالى ثم أمام الأجيال باعتباره الإمام المنصوص عليه من قبل النبي الأكرم ﷺ، المسدد من السماء والمكلف بحفظ الرسالة، أن يتصدى للنهوض بهذه المسؤولية ليهد صروح الظلم والطغيان، ويكون نموذجًا يحتذى به لتوجيه الأمة إلى ميادين الحق والعدل، وهذا ما صرح به صلوات الله عليه في جيش الحر وأصحابه من شرطة ابن زياد قائلاً: (أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ

يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحقُّ من غيّر، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم عليَّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغترّ بكم، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[٨].

وهكذا بقي الحسين عليه السلام دماً متفجراً على طول الزمن وفاجعة ملتهبة في الضمائر لن يطفيها كيد الكائدين ولا بغي الباغين ولا تخطيط المحرفين.

دم يا حسين مدى الزمان مخلداً
نوراً وصوت هداية لن يخمدا
هذا طريقك وهو سيف قاطع
فيه نحطم من عليه تمردا
يا سيد الأحرار يا رمز الإبا
لولاك ما وجد الزمان موحدا
شيدت دين محمد وأقمته
لما سللت على الظلال مهندا
وبذلت ما ملكت يداك لنصره
حتى استوي رغم العدو مشيدا

---

١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ١٨٠ . عن الاقع
٢) الإرشاد/الشيخ المفيد:ج٢ ص ١٢٧.
٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام/ باقر شريف القرشي ج٢ ص٣٠١
٤) أبو الشهداء: ٢٣٠ .
٥) في ظلال القرآن: ١٨٩/٧-١٩٠ .
٦) الإرشاد: ٩٨/٢ .
٧) مستدرك الوسائل/الطبرسي ج١٠ ص٣١٨.
٨) تاريخ الطبري: ٢٠٣/٤ .

تاريخ التعزية والرثاء الحسيني

د. سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

لا يخفى على ذوي الآراء الثاقبة وأولي الأفكار الصائبة ذلك الحدث العظيم الذي هزَّ عروش الظالمين، والنهضة الحسينية التي مازال صداها يرن في سمع الزمن، فإنها أعظم درس يوضح للبشرية عظمة الإمام الحسين بن علي عليه السلام ومكانته القديرة عند الله سبحانه وتعالى وما جرى له في كربلاء أرض الدماء والتضحيات، إنما هو حكمة إلهية تعلمنا العبر والدروس والأخلاقية، وتعبّر عن مواعظ اجتماعية ونفسية كبيرة مؤكداً أهمية الاستفادة من هذه الدروس والمواعظ عبر جوانب حياة دنيوية لنيل الرضوان في الآخرة، وليتسنى لنا بلوغ الكمال والجمال من السلوك والسير إلى الله تبارك وتعالى.

إنَّ للعطاء الحسيني أثراً واضحاً في تربية الملكات وترقيق الشعور والإحساس وتعظيم فائدته في كل صقع وناد. وقد أقيمت المجالس الحسينية تيمناً وتبركاً باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من المحرم الحرام سنة ٦١ للهجرة المصادف لسنة ٦٨٠ ميلادية [١]. لعلَّ من الأهمية بمكان نقول: إن تاريخ إقامة التعزية في مصاب الإمام الحسين عليه السلام قديم، قد ينسبه المؤرخون والرواة إلى زمن يعود إلى قبل حادثة استشهاده في واقعة الطف، حيث يروى أن النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام قد أقاما مجلس التعزية على الإمام الحسين عليه السلام قبل استشهاده بعشرات السنين[٢].

وقد ذكر المؤرخون وأرباب المقاتل أن أول مأتم أقيم على الإمام الحسين عليه السلام جرى في قصر الإمارة بالكوفة بحضور عبيد الله بن زياد حينما خطب الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام خطبته العصماء، فأبكى الحاضرين جميعاً وهو ينعى أباه[٣]، ثم توالت المناحات على أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومن بينها ما حدث في دار يزيد بن معاوية في الشام.

يقول الطبري في تاريخه: (فخرجن - أي السبايا - حتى دخلن دار يزيد، فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين عليه السلام فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً[٤]. وأقيم مأتم للحسين عليه السلام في المدينة المنورة وذلك حينما قفل ركب السبايا راجعاً إلى المدينة، وقف الحاضرون عند بابها وطلبوا من الناعي نعي الحسين عليه السلام قبل دخولهم، كما روى بشر بن حذلم قائلاً: (ولما قربنا من المدينة حط علي بن الحسين عليه السلام رحله، وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه، وقال:

يا بشر رحمه الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟ قال: بلى يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام: أدخل وانعَ أبا عبد الله. قال بشر: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله، رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها
قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج
والرأس منه على القناة يدار

فلم تبق في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا وبرزن من خدورهن وهنّ بين باكية ونائحة ولاطمة[٥]. ثم أقام التوابون مجالس العزاء عند قبر الحسين عليه السلام ثم ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين عليه السلام فلما وصلوا صاحوا صيحة عند قبر الحسين عليه السلام فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم، فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه، وترك القتال معه، وأقاموا عنده يوم وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه[٦].

ويقول ابن أعثم تعقيباً على ذلك: أن ما قاموا به التوابون من العزاء عملياً فهؤلاء عندما عزموا على حرب الشام في مستهل سنة ٦٥هـ فإنهم جاءوا إلى كربلاء واجتمعوا حول قبر الإمام الحسين عليه السلام وبدءوا بالعويل والبكاء ثم ودعوا القبر واحداً بعد الآخر وتوجهوا إلى حيث أرادوا[٧].

وممن جعل اليوم العاشر من المحرم الحرام يوم حزن لذكرى موقعة كربلاء بصفة رسمية هو معز الدولة البويهي[٨] وذلك في سنة ٣٥٢هـ حيث أمر معز الدولة الناس أن يحتفلوا بيوم عاشوراء وهو أكبر تجمع للشيعة، وأن يظهروا الحزن فأغلقت الأسواق وعطل البيع والشراء ولم يذبح الهراسون ولا ترك

الناس أن يستقوا الماء ونصبت القباب في الأسواق وعلقت عليها المسوح وخرجت النساء منشّرات الشعور مسودات الوجوه وقد شققن ثيابهن يدرن في البلد وينحن، ويلطمن وجوههن على الحسين عليه السلام وفي هذا اليوم كان يزار قبر الحسين بكربلاء[٩]. ويصف البيروني ما كان يظهره الشيعة من حزن في يوم عاشوراء بقوله: (ولذلك كره فيه العامة تجديد الأواني والثياب[١٠] ثم اتسع نطاق هذه المآتم من جذورها في العراق حتى شملت مصر على عهد الفاطميين وإيران على عهد الصفويين وسوريا والموصل ولبنان على عهد الحمدانيين والمغرب الأفريقي على عهد العلويين والأدريسيين والهند على عهد كثير من رجالات الشيعة وملوكهم[١١].

وكانت المناحات تتعالى في أزقة الكوفة وبيوتاتها. وينقل لنا المقريزي أن شعائر الحسين الحزن يوم العاشر من المحرم كان أيام الأخشيديين وكافور واتسع نطاقه في أيام الفاطميين[١٢].

أما السيد هبة الدين الحسيني الشهير بالشهرستاني فيتحدث لنا عن مأساة الفاجعة الحسينية وصداها في العالم الإسلامي، والاحتفال بمراسيم تأبينه فيقول: وامتدت جاذبية الحسين عليه السلام وصحبه حضيرة الحائر إلى تخوم الهند وأعماق العجم وما وراء الترك والديلم وإلى أقصى مصر والجزيرة والمغرب العربي يرددون ذكرى فاجعته بممر الساعات والأيام ويقيمون مأتمه في رثائه ومواكب عزائه ويجدون في إحياء قضيته من عامة الأيام ويمثلون واقعته في ممر الأعوام[١٣] وينقل لنا يوسف غنيمة وصفاً مسهباً لهذه الشعائر التي تمثل أدوارها معظم الشعوب فيقول: (هذه هي النكبة المفجعة التي نزلت بأهل البيت عليهم السلام في سهل كربلاء فيردد صدى ألمها خمسون مليون شيعي مبثوثون في العراق والعجم والهند وكره قاف وجبل عامل وغيرها من بلاد الله، وهذه هي المأساة التاريخية التي يمثلون أدوارها في كل عاشوراء ويشخصون وقائعها بقلوب دامية وعيون دامعة فيذكرون كربلاء مصرع شهدائها فإن فيها مدافن الإمام الحسين والعباس أبي الفضل عليه السلام وجماعة من أصحابهما قيام أهل التقى تلك المشاهد من مشارق الأرض ومغاربها ويزورونها اقتداء بجابر بن عبد الله الأنصاري الذي زار قبر الحسين عليه السلام بعد أربعين يوماً من مقتله ويطوفون يوم عاشوراء في شوارع كربلاء ومساجدها ممثلين أدوار تلك النكبة يشترك معهم الآلاف من القوم فيلطمون الخدود ويقرعون الصدور ويضربون أنفسهم ضرباً موجعاً، وكان بنو بويه أول من أحدث مثل هذه المنايح والمنادب في عاشوراء في فجر القرن الرابع الهجري[١٤].

ألمٌ قاتل بكاء يمزق القلوب، أي ألم أكثر من هذا الألم! وأي حزن أعظم من هذا الحزن؟ لابد لك أن تقف مندهشاً أمام هذه المشاهد وهذه التقاليد والأعراف، حاجات مكبوتة يستطيع كل فرد أن يحقق ذاته من خلالها، بجذبك النياح وتسحرك عذوبة الإيقاع ونقاوة الصوت وهي تمجد بالحسين وأهل بيته عليهم السلام،

هؤلاء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فهم أقمار مضيئة للعالم بأسره ظهروا في مواقف أذهلت كل إنسان..

يقول بروكلمان: (لا يزال ضريح الحسين في كربلاء أقدس محجة عند الشيعة)[١٥].

وعبر العديد من غير المسلمين عن آرائهم في التعزية الحسينية وأثرها في النفوس، فهذا رونالدسن يقول:

فأضحت أرض كربلاء عند طائفة كبيرة من المسلمين كان ولاؤهم دوماً لبيت محمد وهو يحيون ذكرى مقتله كل عام بمواكبهم العزائية في محرم فيعيدون تمثيل الحوادث الدامية التي جرت في كربلاء جميعها.

ثم يقول: وبعد أن تمت هذه العملية أقيمت القراءة الحسينية (روضة خواني) وأعيد ذكرى مأساة كربلاء ودار السدنة حول القبر يضربون أكتافهم المكشوفة بالسلاسل التي علقت بها المسامير أو السكاكين الصغيرة وقد كشفوا القسم الأعلى من أجسادهم حتى السرّة وينادون (حسين حسين) باسم سيد الشهداء والشفيع لهم يوم القيامة[١٦].

ووصفت الكاتبة الإنكليزية (فرايا ستارك) أيام عاشوراء بقولها: (أن الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي يحيون ذكرى الحسين ومقتله ويعلنون الحداد عليه في عشرة محرم الأولى كلها حتى يصل بهم مدّ الأحزان البطيء الذي يستولي على أنفسهم إلى أوجه بمواكب العزاء التي تخرج في اليوم الأخير، حاملة النعش بجثته المذبوحة، ثم قالت: (إن هذه المواكب التي تقام في بغداد والمدن المقدسة يعرف مجيئها من بعيد، بصوت اللطم على الصدور العارية)[١٧].

وينقل لنا (جون أشر) الانجليزي بعد

سرد مجزرة كربلاء قوله: إن الشيعة من المسلمين في العالم يقيمون في كل سنة مراسيم العزاء الأليمة تخليداً لبطولة الحسين واستشهاده فينسون أرواحهم فيها من شدة ما ينتابهم من الحزن والأسى[١٨]. لقد أصبح مستهل العام الهجري كل عام مدرسة يتلقى فيها الفرد دروسًا ثمينة، ويستفيد منها الناشئة حكمة بالغة تفجرت من أطهر ينبوع مخضب بالدم، ويستلهم القراء منه العظة والعبرة، وهكذا نجد الحق مع القوة في مقاتل شهداء كربلاء الذين برهنوا على انتصار الدم الزكي على السيف الظالم، وأصبح أول يوم من العام الهجري رمز الخلود والبقاء، يذكرنا بأهمية الشعائر الحسينية،وعظمة الشهيد وصحبه المسلمين لآل البيت عليهم السلام. ولعلنا لم نأت بجديد حينما نقول أن التعزية لم تقتصر على طائفة الشيعة فحسب، بل تشاركها طوائف متعددة، وقد رأينا أن طائفة الشبك في شمال العراق مثلاً هي الأخرى تشارك المآتم والمناحات في العشرة الأولى من محرم الحرام، فيبكي أفرادها وينوحون ويلطمون، ولهم في ذلك أهازيج خاصة[١٩]. وليس من المستبعد أن تتحد الطائفة السنية مع طائفة الشيعة في إحياء التعزية بذكرى الإمام الحسين عليه السلام لاسيما في مواكب العزاء والرثاء، فقد أشار إلى ذلك الدكتور علي الوردي بقوله: (وربما جاز القول بأن التعايش السلمي في منطقة ديالى بين الطائفتين غير قليل وليس في النادر أن نرى محلة سنية تشارك محلة شيعية في بعض مواكبها ومجالسها الحسينية، وقد تشارك أيضاً في تقديس مراقدها وأئمتها[٢٠]. فما أن كان فجر العام الهجري يطلع على العالم، حتى شمل الحزن العميق كافة الطبقات الشيعية، وهم يتأهبون لإقامة مراسيم العزاء والرثاء الحسيني والاحتفالات بذكرى شهيد الحق والمبدأ الإمام الحسين عليه السلام حتى توشحت كل المواكب والهيئات ومعظم الدور بالسواد لاسيما في مدينة سبط الرسول الأعظم، ولعل كثر المواكب وتضاعفها يقضي باختلال النظام، لكن رغم ذلك كله كان النظام والأمن سائدين. ولا يخفى أن السهر الطويل والجد والمثابرة والصرف الباذخ هي أهم المتطلبات التي تلعب دوراً بارزاً في إنجاح عملية هذه المراسيم.

وقد اعتاد الشيعة على تخصيص كل يوم من أيام المحرم لأحد هؤلاء الأبطال من بني هاشم الذي ضحوا بدمائهم وأنفسهم في هذه الفاجعة، فيخصص يوم لمسلم بن عقيل، ويخصص يوم للقاسم، ويوم للعباس، ويوم لعلي الأكبر، يوم للطفل الرضيع وهكذا.

يتقدم كل تلك المواكب لافتات كتبت عليها عبارات حزينة تصور الواقعة أو أبيات شعر في الرثاء الحسيني وغير ذلك، ويبدو على جميع الأفراد حالة من الحزن، وقد ارتدوا ملابس العزاء السود يدورون في أزقة المدينة وأسواقها ثم ينتهي بهم الموكب في أحد الأضرحة أو الأماكن المقدسة لدى الشيعة، حيث يتجمهر أفراد الموكب هناك ويرتقي المنبر رادود حسيني يقرأ لهم أشعاراً حسينية. وهناك مراسيم أخرى تقام في

أماكن مختلفة في المساجد وفي البيوت وفي القيساريات حيث يجلس الحضور على الفرش واتخذ خطيب مقعده على المنبر ثم يبدأ الخطيب بذكر التعزية على الحسين عليه السلام ويتحدث تفصيل ما جرى عليه من القتل والسبي لإبكاء الحضور.

تستمر هذه التعازي وذكر المصائب باهتمام بالغ من قبل الرجال والنساء كل عام ابتداء من أول يوم من محرم إلى أن ينتهي اليوم الثالث عشر منه.

وقد شغلت هذه القضية الحزينة أذهان الناس في العالم الإسلامي، ولم يمح أثر هذه الواقعة الأليمة الحزينة تمادي القرون الكثيرة التي ملئت بالفواجع والمصائب، ولم تخفف ذلك الإحساس والتأثر من محبي الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، فهم دائماً يتحدثون عن فضائل أهل البيت عليهم السلام ويحثون الناس على السير في درب الحسين عليه السلام لمواجهة الظلم وتحدي الظالمين. وكان الخطباء يرشدون الناس إلى ما فيه الصلاح والإصلاح، حيث مجالسهم المعروفة التي تعقد في أغلب البيوت الشيعية التي كانت تقيم المجالس والمآتم على العترة الطاهرة طيلة أيام السنة إضافة إلى موسمي عاشوراء ورمضان، كما هو الحال في المواكب الحسينية التي توسعت حول القضية فضلاً عن آلاف القصائد التي فاضت بها قرائح الشعراء ومن مختلف الأديان، فإمامنا الحسين عليه السلام غدا رمزاً للإنسانية ونبراساً للأحرار في كل زمان ومكان ■

---

١) محمد باقر المجلسي - بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٢.

٢) يراجع :حياة الإمام الحسين عليه السلام باقر شريف القرشي ج١ ص٩٧.

٣) ابن طاووس، علي بن موسى - اللهوف في قتلى الطفوف ص٩٢.

٤) الطبري - تاريخ الطبري ج٥ ص٤٦٢.

٥) الحلي، ابن نما - مثير الأحزان ج٩٠-٩١.

٦) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج٤ ص١٧٨.

٧) ابن أعثم - الفتوح ج٦ ص٨٩.

٨) مغنية، محمد جواد - الشيعة في الميزان ص١٦٣.

٩) ابن الجوزي - المنتظم ص٩٣.

١٠) البيروني - الآثار الباقية ص٣٢٩.

١١)الشهرستاني، صالح - تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي ج٢ ص٤٥.

١٢)المقريزي - الخطط المقريزية ج٥ ص٢٥٠.

١٣) الحسيني، هبة الدين الشهرستاني - نهضة الحسين ص١٣٥.

١٤) يوسف غنيمة - مجلة المقتطف ج١ مج٥٥ (تموز ١٩١٩م/ ٣شوال ١٣٧٧هـ) ص١٧.

١٥) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية ص٢٨.

١٦) دوايت. م رونالدسن - عقيدة الشيعة ص١٠٨ و١١٢ .

١٧) جعفر الخليلي - موسوعة العتبات المقدسة - قسم كربلاء ج١ ص٢٨٠ .

١٨) المصدر السابق ص٢٧٩ .

١٩) أحمد حامد الصراف - الشبك ص٩٩

٢٠) د. علي الوردي - دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ص٢٣٦

الذاكرة الحسينية هوية نهضة الإسلام

الشيخ د. حسن كريم الربيعي •
كلية الفقه /جامعة الكوفة

ينابيع تعد دراسات الذاكرة مهمة جداً في الفكر المعاصر، ويربطها البعض بدراسات علم النفس والتاريخ والاجتماع والفلسفة إلا أن الذاكرة(memory): هي استعادة الماضي، فقد جاء في موسوعة لالاند الفرنسية بأنها وظيفة نفسية قوامها معاودة إنتاج حالة وعي سابقة[1]، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية هذه الاستعادة في رسم حضارة الأمة الإسلامية بنصوص تقارب هذه الدراسات المفقودة في فكرنا المعاصر اليوم، قال تعالى: (**هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي**) (الأنبياء/٢٤)، وقال تعالى: (**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**) (الزخرف/٤٤)، وقال تعالى: (**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**) (الذاريات/٥٥)، (**كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ**) (المدثر/٥٤)، إن التذكير بالماضي النبوي والمسيرة الحضارية لهم هو الحيوية المستقيمة في حفظ البشرية من مهاوي الانحراف، والذاكرة المنفصلة ذاكرة التأسيس والتكوين لا ذاكرة أو ذاكرات منحرفة ومقلوبة تفسر التاريخ وتستعيد على أنه هو الذاكرة المستقيمة أو هذا هو الإسلام، فالنص القرآني يريد تأسيس ذاكرة واحدة كتاريخ مشترك للبشرية في بعده الماضوي، وحتى في الاستحضارات الحالية والانتظارات المستقبلية كحياة مشتركة مبنية على الفعل الإنساني[2].

الإمام الحسين عليه السلام هو الذاكرة:

حضارة الإسلام وتأسيسه قد بدأت بالبعثة الرسمية وبنزول الوحي الإلهي ليعلن بداية الحضارة الدينية والمادية الجديدة المتوازنة في المعايير والقياسات الدنيوية والأخروية كثقافة ثنائية لهذه الحضارة، ففكرة الدين الإسلامي فكرة إيجابية بمعنى الكلمة، والإشكالية التي أثيرت عليه إشكالية في الممارسات المغلوطة، والتفسير الخاطئ في خطوطه العريضة ومرتكزاته الأساسية، فقد شكل النص القرآني الأسس التي لا تعارض أبداً، فكل أشكال الظلم والطغيان والفساد والأخلاقيات المنحرفة لا توافق الأسس لهذه الحضارة، وهي قد اخترقت منذ العهد الأول (صدر الإسلام) فتربى الجيل على ذاكرة غير تلك الذاكرة التي في النصوص القرآنية ونصوص السنة الصحيحة، وبقيت ذاكرة التأسيس والتكوين المبكر منسية أو مُأوّلة أو مُخَرّجة لوجه من الوجوه أو مصلحة من المصالح الدنيوية والسياسية، فقد جاء

من يحارب الإسلام ويحاول تقويضه إلى سدة الحكم والسيطرة والتمكن، فماذا يا ترى يكون للذاكرة الأولى المؤسسة لهذه الحضارة؟

إن حركة التاريخ تحدثنا عن مسيرة أكثر من خمسين سنة، قد تغيرت فيها الأجيال بعد الأجيال ضمن ثقافة السياسة الحاكمة المعادية والمحتجة لظهور مثل هذا الدين في الجزيرة العربية، وفي ضوء ذلك من يُعيد البوصلة ويقلب الأمور ويفجر البنية كما يقول المفكر الإسلامي إدريس هاني[٣]، وفعلاً أن الإمام الحسين عليه السلام هو مفجر بنية الذاكرة المفتعلة للأمة ليعيد الذاكرة الأم والأصل، ويعلّم الأجيال أن ذاكرتهم هي ذاكرته فهو الامتداد الطبيعي لذاكرة الدين بأكمله من النص والرسول صلى الله عليه وآله.

ولو طبقنا نظرية برودل (Braudel) في التاريخ الجديد ذات الأبعاد الثلاثة فهي تنطبق على ذاكرة الثورة الحسينية وخلودها، فإن هذه الأبعاد هي[٤]:

١ـ الحقائق الجغرافية.
٢ـ المجتمع والاقتصاد.
٣ـ الأحداث السياسية والعسكرية.

فالمساحات الجغرافية التي سلكها الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة إلى مكة المشرفة ومن ثم الطريق التجاري والمنازل التي على الطريق إلى كربلاء الشهادة والذاكرة، كانت من المدى البعيد هي مشعل الثورة والحضارة والذاكرة التي تعيد الأمة إلى مجدها وعزها، وهذا هو الزمن الجغرافي البطيء كمسارات الركب الثائر ومن

ثم مسارات الشهادة من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى دمشق ومن دمشق إلى المدينة المنورة مرة أخرى، هذا هو الزمن الجغرافي الباني للحضارة في مداها الطويل أو هي الذاكرة التي لا تمحى أبداً، وكانت الامتدادات الجغرافية قد اخترقت البحار إلى مصر مروراً بفلسطين (عسقلان) وتجذرت في القاهرة كأثر ومسكن لقلوب الملايين كذاكرة لأجيال مصر، أما كربلاء الذاكرة في حقيقة الأرض والمناخ والتضاريس المؤثرة في التكوين الحضاري حسب نظرية برودل التاريخية، فكربلاء الثورة هي ذاكرة في حقائقها الجغرافية، فالتل الزينبي والوادي والنهر والنخيل وبقية المواقع والذكريات تعبر عن التضحية والشهادة في سبيل استعادة ذاكرة القرآن والإسلام والممارسات النبوية من الأفعال والأقوال والإمضاءات الموافقة مع الذاكرة المؤسسة لهذا الدين.

وهذه الذاكرة الحسينية قد خلقت المجتمعات المتعلقة روحاً وقالباً معها واندمجت مع الفعل الاقتصادي لأن الذاكرة الإسلامية تقدس العمل وتقدس الإنتاج والمهن المشروطة بالعدالة والأمانة والصدق في التعامل التجاري، فأصبح الإمام الحسين عليه السلام مناراً في الرمزية الاجتماعية والاقتصادية في الأسس لا الممارسات المخالفة المرفوضة والناتجة من قلة الوعي بالذاكرة، هذه هي الأبعاد الأطول، أما البعد القصير هي أحداث الثورة ووقائعها الآنية التي عاشها الإمام عليه السلام وأصحابه وأهل بيته، وهي تعبر بالتحليل والاستنتاج إلى ممارسات غاية في الأهمية مستمدة من قيادة هذه المعركة التي تريد رسم خارطة الإسلام وإعادة شكل التأسيس المكون للذاكرة الإسلامية التي غابت عن الأجيال اللاحقة لحظة التأسيس الأولى، وربما يصح أن نقول أن الأمام الحسين عليه السلام أعاد هذه اللحظة ثانية وسيعيدها الإمام المهدي(عج) ثالثة، كنتيجة حتمية لإعادة أسس الإسلام الحضاري.

ذاكرة الإسلام في كربلاء:

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام ينتمي بفكره إلى جهة أو طائفة أو عرق إلا إلى الإسلام، وهو الإمام المنصوص عليه عند كل أصحاب هذا الدين الخاتم، فلا يمكن اختزاله بالتشيع وحده كحركة أو ثورة أو نهضة معارضة كما مدون في التفسير التاريخي لأن النص الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله يصنعه في الأصل مقام النبي صلى الله عليه وآله ومن عارضه هو في صف معارضة الوجود الحسيني، وهذا الوجود هو الذاكرة والذكرى والذكر وكل معاني الوجود الحضاري للإسلام.

حول الوجود المفتعل صناعة ذاكرة سياسية معادية بتصوير أن الإمام الحسين عليه السلام من الخوارج على الدولة، ففي رسالة بعثها ابن زياد إلى عمر بن سعد يؤكد فيها الخضوع والاستسلام، وإلا القتل والقتال والمناجزة، فقد جاء فيها: (فأعرض عليه وعلى أصحابه النزول على حكمي فإن أجابوك فابعث

به وبأصحابه إليّ، وإن أبَوا فازحف إليه فإنه عاق شاق)[٥]، والعبارة الأخيرة هي الذاكرة المفتعلة التي ترسم للمشاركين في المعركة معنى الأصل والمعارضة لحكم قائم وصحيح ومن خرج عليه هو العاق والشاق لأمر هذا الحكم، ودخلت الذاكرة دائرة التمويه والتضييع والتأويل والإضافة للوعي المتعاقب وهو مكمن الخطورة اليوم، فقد ظلم الإسلام بتلك المصطلحات المضافة التي شوهت ذاكرته الناصعة المؤسسة للعدالة والرحمة والإنسانية، لذا نجد أن ذاكرة الحسين عليه السلام أصبحت ذاكرة عالمية، وعلى ذلك يجب العمل، وعدم حصرها بالفكر الشيعي، فكربلاء الموقع والمجتمع الإسلامي والإنساني هو الدين والفكر، فكل محاصرة لهذا الفكر يعد مخالفاً للذاكرة الإسلامية والإنسانية، والإسلام يتضح بكربلاء الشهادة، وقاعدة الفرز الحقيقي يتصور في معرفة الفهم لحقيقة الإمام الحسين عليه السلام وعلاقته بالإسلام، والإسلام وعلاقته بالحسين عليه السلام، في زمن ضاعت فيه الحقائق بعد بروز ظاهرة التطرف والتكفير النظري من ابن تيمية إلى التكفير العملي عند القاعدة وداعش، ومنذ النشأة لذاكرة دموية الإسلام مفارقة لذاكرة التضحية والشهادة من أجل المبادئ التي رسمها الإمام الحسين عليه السلام، فإذا أرادت الأمة الخلاص من الأفكار الهدامة والمشوهة للإسلام عليها أن تقتدي بالإمام الحسين عليه السلام وتنهض لتحارب من يشوه هذا الدين بالذبح والتدمير والهلاك للحرث والنسل والفساد والإفساد الملبوس باللباس الخارجي للإسلام بالشكل والراية، بخلاف الجوهر وباستعادة ذاكرة الخراب والتشويه والمروق عن هذا الدين لحظة التفسير الخاطئ له عند الخوارج إلى لحظة القاعدة وداعش بتطور واضح في أساليب البشاعة التي لا تمت للإسلام بشيء، وتكاد تكون الخصائص التاريخية في التمادي البشع والتصرفات مع الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه يشابه ما يقع اليوم، فأين الإسلام إذاً؟، ولبيان أين الإسلام في الإجابة هو قول الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه في كربلاء: **(إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الأَمْرِ مَا قَدْ تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُها، وَاسْتَمَرَّتْ فلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إلاّ صُبابَةٌ كَصُبابَةِ الإِنَاءِ، وَخَسِيسِ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ، أَلا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لا يُعْمَلُ بِه، وَأَنَّ الْباطِلَ لا يُتَناهى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقاءِ اللهِ مُحِقّاً، فَإِنِّي لا أَرَى الْمَوْتَ إلاّ شَهادَةً، (سعادة) وَلا الْحَياةَ مَعَ الظّالِمِينَ إلاّ بَرَماً)**[٦].

وفي موضع آخر يخاطب أهل العراق بقوله: (أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم علي وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ. إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)[٧]، وفي كربلاء نسب نفسه لهؤلاء لعلهم يتفكرون من يقاتلون، ومن خلال قراءة خطبة: (فانسبوني،...

فانظروا من أنا؟..)، وهو سؤال لا يزال في ذاكرة الإسلام من أن كربلاء ذاكرة الإسلام. ومن أرض المعركة صنع الإمام الحسين عليه السلام ذاكرة الخلود للإسلام إسلام التضحية والشرف والعدالة والإنسانية، إسلام المعاني والمضامين الأخلاقية والعقلانية، والذاكرة الحسينية هي ذاكرة الإسلام الجماعية الموحدة، وهكذا يجب العمل على عالمية هذه الذاكرة.

استعادة الذاكرة:

بعد ما استشرى الظلم والطغيان وطفح الكيل في الذبح والقتل والتمثيل، وهي ممارسات كانت قد وقعت وهي ذات الممارسات اليوم وأكثر عند داعش وبناتها والقاعدة وفروعها، فنحن اليوم بين ذاكرتين ذاكرة القرآن والإسلام والدين (الذاكرة الجماعية النافعة)، والذاكرة المنحرفة الضارة (الذاكرة المفرقة والمشتتة)، والأولى حاربت الثانية ولا زالت وثورة الحسين عليه السلام ثورة على الأكثرية الصامتة وهي مشكلة دائمة موجودة في المجتمعات، المجتمعات التي تعاني من الظلم ولكنها لا تغيره لأن كل واحد منها وكل جماعة منها لا تضحي في سبيل التغيير، تريد أن يحصل التغيير لمصلحتها من دون أن تتكبد أية خسائر ومن دون أن تتحمل أية مسؤوليات، تكون النتيجة أن الأخيار يقتلون وأن الأشرار يحكمون[٨]، ولا مفر لنهضة الأمة إلا استعادة ذاكرتها الإصلاحية، والاعتناء بالبنى التحتية للفكر والثقافة والوعي الحقيقي وإدراك الخطر الداهم المشوه للإسلام، ودرء هذا الخطر باستعادة الثورة وأهدافها (الذاكرة الحسينية العظيمة) هي بالأصل ذاكرة الإسلام بل طريق الأنبياء وهو القول الموجه لحبيب بن مظاهر الأسدي في أثناء المعركة عندما جادل الشمر، فقال الإمام الحسين عليه السلام له: **(حَسْبُكَ يا أخا بَني أَسَدٍ فَقَدْ قُضِيَ الْقَضاءُ وَجَفَّ الْقَلَمُ وَاللهِ بالِغٌ أَمْرَه، وَاللهِ ! إِنّي لأَشُوقَ إِلى جَدّي وَأَبي وَأُمّي وَأَخي وَأَسْلافي مِنْ يَعْقُوبَ إِلى يُوسُفَ وَأَخيهِ وَلي مَصْرَعٌ أَنَا لاقيه)**[٩]، وفي هذا النص إشارة واضحة لذاكرة الالتقاء بهذا الخط الإصلاحي العالمي فهذه الثورة ليست حركة شيعية محدودة إنها خط الرسالة العالمي والإنساني لتغيير الواقع آنذاك والحكم بالعدل كأساس للسياسة والإدارة والنظم، فليدرك كل المسلمين هذه الذاكرة المنجية لهم، وقد حذر الإمام عليه السلام من ركون الأمة إلى الظلم فقال للناس المجتمعين لقتله: (فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفئ السنن...)[١٠]، وربما هذه الصفات تكون ظاهرة بأجمعها أو بعضها حسب العصور والتطورات الاجتماعية والسياسية في توظيف الإسلام لمصالح سياسية أو أهداف طائفية مقيتة مع أن الإمام الحسين عليه السلام لا يحسب لجهة إلا جهة وذاكرة الإسلام، وغير ذلك هو تحكم وتعسف.

إن استعادة الذاكرة للأمة عن

طريق الوعي الحسيني الذي بدأ يتسع ليعم أغلب دول العالم لهو جدير بأن يؤسس له المراكز الدراسية والبحثية في دراسات الذاكرة الحسينية واستعادة نضارة الإسلام من خلال تلك المواقف وأبعادها ولا تقتصر تلك الأمور بالشيعة الإمامية فقط، إن عالمية الدعوة الحسينية بأهدافها وأبعادها لهي الذاكرة الموحدة من خلال قيادة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وقربه ونهجه من الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، استعادة الذاكرة الحسينية خدمة للجميع، خدمة للبشرية ومجتمعاتها، بل كل إنسان فضلاً عن المسلمين جميعاً، فالإمام الحسين عليه السلام لا يفرق بين الناس وهو مصداق قوله تعالى: (**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**)(المائدة/٢) وهذا النص القرآني يشير إلى ذاكرتين:-

١- ذاكرة البر والتقوى.

٢- ذاكرة الإثم والعدوان.

والفعل تعاون مع الذاكرة الأولى، والنهي عن التعاون مع الثانية، ولكي نعيد الذاكرة الحسينية علينا أن نفهم مفردات البر والتقوى لكي نكون من المجتمعات المتعاونة وهي مطلقة فتشمل غير المسلمين، وهو أي هذا النص ممن يؤسس للمجتمع التعاوني، وهو واضح في المجتمع الحسيني الزائر فيظهر التعاون بأجلى صوره.

أما مفاهيم الذاكرة المفرقة هي الإثم والعدوان من القتل والإقصاء والتهميش والذبح وفهم الأشياء على غير حقائقها الواضحة، وإن كان لها من يضلل ذلك على أنها هي الحقائق بأدلة واهية منظورة بعين واحدة، فأي تبرير لأفعال التشويه الداعشي والقاعدي والوهابي بتفسير الذاكرة الحسينية مفرقة غير جامعة.

التاريخ السياسي شوه وجه هذه الذاكرة، فعلينا اليوم حمل هذه الذاكرة إلى الوجود الواقعي ورفع الظلم والعدوان بالقول والفعل منطلقين من قول وشعار الإمام الحسين عليه السلام: (لا وَاللّه لا أُعْطيهِمْ بِيَدي اعْطاءَ الذَّليلِ ، وَلا أفِرُّ فرارَ الْعَبيدِ !)[11]■

---

١) موسوعة لالاند الفلسفية/تعريف: خليل أحمد خليل،ج٢، ص٧٨٣.

٢) الذاكرة القرآنية بحث في مفاهيم تاريخية/ حسن كريم ماجد الربيعي ، بحث منشور.

٣) قالها في لقاء معه في حضرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في محاورة من القضية الحسينية في مؤتمر الغدير الدولي الأخير عام ٢٠١٣م.

٤) نظريات المعرفة التاريخية وفلسفات التاريخ / فرج معتوق، فرنان برودل ، ص٣٢٩.

٥) الأخبار الطوال/الدينوري، مراجعة: جمال الدين الشيال، ص٢٥٥.

٦) تاريخ الطبري ج٤ ص٣٠٥.

٧) الإرشاد /الشيخ المفيد،ج٢، ص٩٧.

٨) عاشوراء مجموعة محاضرات /محمد مهدي شمس الدين، ج٢، ص٤٢١.

٩) الإمام الحسين من كربلاء دراسات تاريخية تحليلية ـ عن مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، ج١، ٣٥٦- ٣٥٨.

١٠) المرجع نفسه، ج٢، ص٢٥٧، نقلاً عن الخوارزمي في مقتله وغيره.

١١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٩٨.

البلاغة الكامنة في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف

أ.د. مشكور كاظم العوادي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

من صدى الرسالة والوحي... سَجّل الحسين مكنون بلاغته:
رأساً قرباناً مقطوعاً... يتلو آيات اللّه هوية... ينطق حقًّا بالإعجاز... سَجّل (طفاً) نقشاً، أو درباً مغواراً.....
ولّاد طفوف أبديّة... لأنّ حسيناً هو إمام الحقّ .... وأن عراق العترة أبداً: هو شهيد قضيّة...

إنّ القول بالبلاغة الكامنة في واقعة الطفّ هي: الإحالة الفكرية المحاولة لقطف أسرارها الزمانية، وتخيّل أهوالها المكانية، وبيان مقتضياتها النصّيّة: تلك التي ليس لها أشباه في عالم الخطاب واستراتيجيات التلقي إلا عند أئمة أهل البيت عليهم السلام، ذلك أنهم عدل كتاب اللّه وحافظوه، والناطقون الصادقون عنه إلى يوم الدين.

١ـ خطبتا الإمام الحسين (الخصوصيات):

تناولت جلّ كتب السير والتاريخ والمقاتل هاتين الخطبتين كما تناولها كثير من الباحثين والدّارسين المحدثين وهي خطب: أيّ خطب، قد حملت خَطْبًا ((ينفطر لها القلب ذلك الذي نزل بالمسلمين في مختلف الديار، ومتفرق الأمصار فأعمل فيهم الكروب وأدمى منهم القلوب، وقوض بنيان الأمة المرصوص وقضى على الشمل الملتم، وطوّح بالطود الأشمّ...))[1].

وسأتناول خصوصيات مواقف منها تمهيداً للانتقال إلى صلب الموضوع الدعائي الذي جاء في نهاياتها... فمّما جاء فيها قوله عليه السلام لأصحابه ليلة عاشوراء: ((أمّا بعد فإني لا أعلم أصحاباً أصلح منكم، ولا أهل بيت أبرّ وأفضل من أهل بيتي، فجزاكم اللّه جميعاً عني خيرًا، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهلي بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل، وذرونـي وهؤلاء القوم، فإنّهم لا يريدون غيري))[2].

وما بدا من موقف الشهامة والإباء والوفاء من إخوته وأبنائه وأبناء عبد اللّه بن

جعفر ومسلم بن عوسجة وزهير بن القين في ذلك الموقف.

وكذلك مما جاء له عليه السلام في خطبة يوم عاشوراء إذ زعزع بها جيش الكوفة.

وبعد أن صف ابن سعد أصحابه للحرب، دعا الحسين عليه السلام براحلته فركبها، ونادى بصوت عال يسمعه جُلهم: أيها الناس اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حقّ لكم، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي هذا وأعذر فيكم، فإن قبلتم عذري، وصدقتم قولي، وأعطيتموني النصف من أنفسكم، كنت بذلك أسعد ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوني النصف من أنفسكم **(فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ)** (يونس:٧١) **(إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)** (الأعراف:١٩٦).

فلما سمعنَ النساء هذا منه صحنَ وبكين وارتفعت أصواتهن فأرسل إليهن أخاه العباس وابنه علياً الأكبر وقال لهما: سكتاهن، فلعمري ليكثر بكاؤهن.

ولما سكتن: حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والأنبياء وقال في ذلك: **((الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالا بعد حال فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخط الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته وجنبكم رحمته، فنعم الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد** صلى الله عليه وآله،

ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم، ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين.

أيّها الناس انسبوني من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن نبيكم وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه... إلى قوله أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟)[٣].

لقد قدم لهم دلائل الاحتجاج بالحرمة الشرعية إن كانوا مسلمين، وبالأصول العروبية أو المزايا الإنسانية إن كانوا أحراراً...

إن كلامه عليه السلام في روابط هذه الخطبة بياناً واستدلالاً: كان ليقيم فيها العلاقات القصدية ((وينفث في عقدها أنفاسه، وينثر عليها مكونات ومصونات القلوب والأفئدة))[٦]، ودلائل الحق شاهدة أكثر حين خرج عليه السلام إليهم ممتطياً فرس رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أخذ مصحفاً ونشره على رأسه فوقف بأزاء القوم وقال: يا قوم إن بيني وبينكم كتاب الله، وسنة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال عليه السلام: أنشدكم الله هل تعرفونني من أنا؟

وهنا تبليغ بتنسيب كما كان ذلك من أبيه وأمه الزهراء وأخته العقيلة عليهم السلام، وهو ليس من باب التفاخر، بل إلفاتهم أنّهم أهل الرسالة والوحي...

حتى قال عليه السلام: فبم تستحلون دمي؟ وأبي الذائد عن الحوض يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر عن الماء. قالوا: قد علمنا ذلك، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً[٥].

فقال عليه السلام: تباً لكم أيّتُها الجماعة، وترحاً ! أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم... إلى قوله: فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السُّنن، ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون؟!!! أجل والله غدر فيكم قديم، وشحت عليه أصولكم وتآزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر شجى للناظر وأكلة للغاصب، ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلّة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر، ثمّ قال عليه السلام:

((فإن نَهزم فهزامونا قُدماً

وإن نُهزم فغير مُهزّمينا

إلى قوله:

فقل للشامتين بنا أفيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا))[٦]

إنّ نقد الإمام الحسين عليه السلام وذمّه لمعسكر يزيد كان منسجماً : ذلك أنه لا مبدأ للمفاوضة أو الاستسلام بمبايعة الفاسقين، وقد رسم لهم هنا صورة تظلل أصولهم المنافقة الخبيثة، وهي أدعى

للقهر والجبن والظلام، وهنا نلحظ كما يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين ((طبيعة السلوك الذي اختطفه الحسين عليه السلام لنفسه ولمن معه في كربلاء وألهب به الروح الإسلامية بعد ذلك ـ وبث فيها قوة جديدة))[٧].

ومن ذلك تتجلى الحركة الروحية للمعاني السّامية، وهي مستلة من البلاغة القرآنية الثرّة للبيت العلوي الطاهر من خلال عرضها المستمر لدلائل وفصل الخطاب: اقتباساً صريحاً من الآيات القرآنية أو احتذاءً لأسلوبها: حذفاً وبراعةً، لأنّ النفوس في تلقيها ((تتفاوت في وفرة الإحساس، وانبعاث المعاني والاستجابة للأحداث المثيرة، ولا شك أنّ حسنَ الدلالة مؤسس على هذا، وأكثر من هذا))[٨].

٢ـ حركة المَعنى من الخطاب إلى الدعاء:

وهنا انتقالة ذات مضمونات عالية بالتواصل نحو التوّسل والخشوع، وبما يسخّر طاعة الله سبحانه لاستدرار عطفه ولطفه ونعمه، لأنه سبحانه عند المنكسرة قلوبهم في مطالب رحمته..

لذا قال عليه السلام: أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهدٌ عهده إليّ أبي عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله **(فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ)** (يونس:٧١). **(إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)** (هود:٥٦) ثمّ رفع يديه نحو السماء قائلاً: **((اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسنين يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف، يسقيهم كأساً مصبرة، فإنّهم كذبونا وخذلونا، وأنت ربّنا عليك توكلنا وإليك المصير))**[٩].

وهنا يتوعدهم الإمام الصادق عليه السلام بصدق ما سيؤولون إليه لشناعة ما يفعلون، وبشاعة مايجرمون، بدلائل مسكتة وتواتر أمين... وعلى هذا المنوال كان الإمام عليه السلام يدري ((أنه مقتول بها مع أولاده مسبيةٌ بها نساؤه، لا مناص من ذلك، لكنه قد وضع أمام بصره غاية مقدسة هي إفهام الأمة خطورة الوضع لكي لا يستهينوا به فتحيط بهم إذ ذاك الكارثة وتحق عليهم كلمة العذاب))[١٠].

والمتأمل في دعائه عليه السلام يجد اقتباساته القرآنية المفحمة، وهي هكذا في نسق أهل البيت عليهم السلام وإدلاءاتهم المبينة. وهم قد حفظوا القرآن، فما أحراهم أن يسترسلوا كلام الله في ثنايا خطبهم، وأدعيتهم من دون تكلف، ذلك أن هذه الاقتباسات كانت متحرّكةً ومحرِّكةً تزيد وبشدة من الانتهاض الإيماني، للنفس القارئة، لأنه يحاكي النص القرآني، فيجعلها تقشعر ثم تلين، وهذا من المركوز في الطباع، أو الراسخ في غرائز العقول بما فطر الله سبحانه النفس على استحسانه.

وممّا ورد في دعائه عليه السلام يوم عاشوراء: أنه لما نظر إلى جمع بني أمية كأنه السّيل رفع يديه بالدعاء وقال: **((اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك، عمّن سواك فكشفته وفرّجته، فأنت وليّ كلّ نعمة ومنتهى كل رغبة))**[١١].

وتتجلى روعة مناجاته في الدعاء وهي تدخل في الصميم الروحي، ووقعها يكون أكثر حنيناً، إذ تتطلب آداباً عليا في الخشوع والاستيقان.

فالدينامية العالية تتأتّى هنا في خصوصيات المعاني الواردة بالقصر والحصر، واستعمال الأفعال التي تدل على الحدوث والتجدّد بلا انقطاع، آملةً متأملةً بالواحد الأحد الذي لا يوجد سواه، حين تدور دوائر الباطل، والظلم والكفر، لنلحظ عندها أن المدار الدّعائي هنا بالعواطف القلبية، لا اللقلقة اللسانية، فلذلك يحاول الدّعاء من خلال هذه الإدلاءات اللفظية تحريك الأعماق الشفافية القلبية، حتّى تكون بمرأى من الحضرة الربوبية، ((وهذه القدرة على إثارة المعاني وفتح ينابيعها، وتدفقها من هذه الينابيع، وجريانها في تلك الشعاب اللغوية، حتّى لا يبقى منها شيء إلا وهو يتزاحم في تلك الأبنية، هذا هو أصل البلاغة وجذبها، وجذرها وبابها الأعظم...))[١٣].

وممّا ورد أنّه لما اشتد به الحال عليه السلام رفع طرفه إلى السماء وقال: ((اللهم متعال المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غنيّ عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دُعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، تدرك ما طلبت، شكور إذا شكرت، ذكور إذا ذكرت،..))[١٣].

وتعدّ الأسماء الحسنى والصّفات الإلهية تشكيلاً رئيساً في البنية الدّعائية، دخولها مؤكد في صلب هذه الفعالية، وهي تتبّع تسلسلاً أخلاقياً أو سلوكاً عرفانياً... .

ثمّ قال: ((**أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً، وأبكي مكروباً، وأستعين بك ضعيفاً، وأتوكل عليك كافياً**))[١٤].

نلحظ هنا أن الترتيب أيضاً غير اعتباطي، بل في تواصليّة من التوسّل والخضوع للتّثبيت في المطلوب، ولحصول التّأثير الغيبي المتوقع بعد الانقياد والتسليم لله سبحانه طوعاً، بل قرباناً للشهادة من أجلِ إعلاء دين الله، واستقامته أبد الدّهر.

كانت هذه مقدّمات صالحة، بل هي القطب السّابغ الذي سيكون مدار الدعاء عليه في الترتيب والتعظيم، لذلك قال بعد إدلاءاته داعياً شاكياً، بارعاً مبيناً: مصحوباً بالطبع اليقظ في مساقات الحجة والتبيان: ((اللهم احكم بيننا وبين قومنا، فإنهم غرّونا، وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيّك، وولد حبيبك محمد صلى الله عليه وآله الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً يا أرحم الراحمين، صبراً على حكمك، يا غياث من لا غياث له، يا دائما لا نفاد له، يا محيي الموتى، يا قائمًا على كل نفس مما كسبت، احكم بيني وبينهم: وأنت خير الحاكمين))[١٥].

فهنا أساليب ذكية لا يتمكن أيّ أحد من إنشائها، لأنّها من اختصاص المتمرسين، وهم أهل البيت عليهم السلام في هذا الباب العالي والنّمط الرائق، لذا فأسرار الكلمات لا يدركها قاصرو العقول، وعندها نقول إنّ

هذه الإنشائية الدعائيّة غير اعتباطيّة البتّة، بل هي مأخوذة بالمقايسات الخطابية التناسبيّة المحكمة جداً.

ومنها ما يبدو لنا من الترتيب ((الذي هو رأس الكلام هنا يتضمن خصوصيات المعاني وصورها وهيآتها، لأنه ترتيب للمعاني: بأحوالها وهيئاتها وصورها..))[١٦]. فالقول بإتقان الدّعاء عند أئمة أهل البيت عليهم السلام يعني: تلبية جميع متطلباته النصية من سبك وحبك وتناسب مقتضى، أو مطابقة مقام بسمات فنية وجمالية، إذ كانت هذه جميعاً تؤدي في ضروبها نصاب التهذيب الأخلاقي بتميّز، وهو المطلوب..

وعلى ما تقدّم فالإيقاعات والتناسق الموسيقي في المقاطع الدعائية كانت ترد من دون تكلف، إذ نلحظ ذلك في التطويل في الأسماء لأجل الوقع النفسي في المضمون، أي: يرتدّ عندها المشغول بالاً إلى المطلوب بالنصّ وهنا استطراد تأكيدي، فقد يكون المتلقّي في بداية الفاصلة مشغول البال وتائهاً في الخيال، إذ يتأتى له التأكيد قهراً بتدخّله في مضمون الفاصلة، وهذا الاستطراد هو لطف من الإمام عليه السلام، ذلك أنّه يستطيل لإدخال الجميع في المقصود المطلوب، وعندها كان ((يزاول الفكرة، ويتحرك من حال إلى حال، حتى يغرسها في طبع النفس الإنسانية، وينتهي إلى صميم الفطرة...))[١٧]

وخلاصة ما تقدم:

* أن الإمام الحسين عليه السلام قد اعتمد على الأدلة الواقعية والبراهين الدامغة: التي تسوق الإقناع بمداخلة جوهر الفكرة، ليُنبّه معسكر يزيد ممّا هم فيه من جهل وباطل وضلالة، فقد وضع المتلقي منهم أمام واقع يشاهده ويتلمّسهُ ويُدركه إن كان مسلماً، وكانت مقدماته مخصّصة لهؤلاء القوم الضالين، أمّا براهينه الخطابية فقد كانت مقصودة لهم بحسب الموضع والمعنى والغرض، إذ اقتضتها أفعالهم الشنيعة بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

* كانت تحولات الإمام عليه السلام في خطبه تتجه نحو التأثير والاستمالة من الوعظ والإرشاد والتوجيه إلى الذمّ والنقد، وصولاً إلى الدعاء عليهم، ومناجاة الله سبحانه وتعالى بعد أن أعْيته مذاهب القوم وأخلاقهم، فأصبحوا من الهالكين.

* نحن نشعر أمام أدعية الإمام الحسين عليه السلام في يوم الطف: أنه كان يحاول أن يستثير عواطفهم المكنونة وفطرهم النقيّة، وأصولهم اليعربية والإنسانية: منادياً بالحق الذي لا يشوبه باطل، ومحذراً إيّاهم من عاقبة ما يؤولون إليه بعد إقدامهم على قتله من الهلاك والدّمار.

* إن في دماء الطفوف بلاغة استشهادية كامنة تشعّ منها بوارق الخلد، ذلك أنها ستبقى قرابين صادقة وفوّارة ـ يجعل الله للمؤمنين بها نوراً ـ لنصرة المظلومين بوجه الطغاة الظالمين والتكفيريين بكل العصور.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

الهوامش والإحالات:

١) مقالات في الإمام الحسين عليه السلام (المعاني السامية في ذكرى الحسين عليه السلام : الأستاذ بدوي طبانة/ ص٣٧٨ .

٢) الملهوف على قتلى الطفوف ص١٥١ وصدى الطّفوف ص١٠ .

٣) الكامل في التاريخ ٤١٩/٣- ٤٢٠، وموسوعة كربلاء: بيضون١/٦٦٤- ٦٦٥.

٤) مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني ص٢٣٤.
٥) الملهوف على قتلى الطفوف ص١٤٧ .
٦) الملهوف على قتلى الطفوف ١٥٥- ١٥٧ وموسوعة كربلاء ١/٦٧٠-٦٧٣ .
٧) مقالات في الإمام الحسين عليه السلام: (ملامح من ثورة الحسين عليه السلام ص٩٤.
٨) مراجعات في أصول الدرس البلاغي ص٤٤ .
٩) الملهوف على قتلى الطفوف ص١٥٧، وموسوعة كربلاء ١/٦٧٣. وغلام ثقيف هو المختار بن عبيد الثقفي.
١٠) مقالات في الإمام الحسين عليه السلام (حركة الحسين ومراميها) للدكتور علي الوردي ص١٦٧ .
١١) الكامل في التاريخ: المجلد الثالث/ ٤١٨ .
١٢) مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني/ ص٢٠٩.
١٣) صدى الطفوف ص٢١ .
١٤) السابق نفسه والصفحة نفسها.
١٥) صدى الطفوف ص٢١-٢٢ .
١٦) مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني ص٨٩ .
١٧) مراجعات في أصول الدرس البلاغي ص١٥٩.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين زوّار الحسين؟ فيقوم عنق من الناس، فيقال لهم: ما أردتم في زيارة الحسين عليه السلام؟ فيقولون: أتيناه حبًّا لرسول الله صلى الله عليه وآله، وحبًّا لعليّ وفاطمة، ورحمةً له ممّا ارتكب منه، فيقول لهم: هذا محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين فالحقوا بهم، فأنتم معهم في درجتهم.

(الوسائل ١٠ : ٣٨٧ / ٢)

صورة من الطف

* أقبل شمر بن ذي الجوشن حتى وقف على معسكر الحسين عليه السلام فنادى بأعلى صوته: أين بنو أختنا عبد الله وجعفر والعباس وعثمان ! بنو علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ فقال الحسين عليه السلام لإخوته : أجيبوه وإن كان فاسقًا فإنه من أخوالكم (باعتبار أن أمهم أم البنين والشمر من بني كلاب). فنادوه فقالوا : ما شأنك وما تريد ؟ فقال: يا بني أختي ! أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين عليه السلام ، والزموا طاعة (أمير المؤمنين) يزيد بن معاوية ! فقال له العباس بن علي عليه السلام: تبًا لك يا شمر! ولعنك الله ولعن ما جئت به من أمانك هذا، يا عدو الله ! أتأمرنا أن ندخل في طاعة العناد ونترك نصرة أخينا الحسين عليه السلام !؟ فرجع الشمر إلى معسكره مغتاظًا.

(مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٦)

* لما سقط الإمام الحسين عليه السلام في ساحة المعركة نادى ابن سعد : من يأتيني برأسه ، وله ما يتهنى به ؟ فقال الشمر : أنا، أيها الأمير ! فقال : أسرع ، ولك الجائزة العظمى!! فأقبل إلى الحسين عليه السلام، وقد كان غشي عليه ، فدنا إليه وبرك على صدره ، فحس به الإمام عليه السلام ، وقال: يا ويلك ! من أنت ، فقد ارتقيت مرتقى عظيمًا؟! فقال: هو الشمر. فقال له: ويلك ، من أنا؟! فقال: أنت الحسين بن علي، وابن فاطمة الزهراء، وجدك محمد المصطفى. فقال الحسين عليه السلام: ويلك ، إذا عرفت هذا حسبي ونسبي فلم تقتلني ؟ فقال الشمر : إن لم أقتلك فمن يأخذ الجائزة من يزيد؟ فقال عليه السلام: أيما أحب إليك ، الجائزة من يزيد ، أو شفاعة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال اللعين : دانق من الجائزة أحب إلي منك ، ومن جدك ؟ فقال الحسين عليه السلام: إذا كان لا بد من قتلي فاسقني شربة من الماء. فقال له: هيهات ، والله ! لا ذقت قطرة واحدة من الماء حتى تذوق الموت غصة بعد غصة.

(ينابيع المودة/ ص ٤١٩)

ريحانة الزهراء... زينب الكبرى عليها السلام .. وملحمة الطف

طالب علي الشرقي •
كاتب وباحث

ينابيع لم تكن نهضة الإمام الحسين عليه السلام لحصد المكاسب الدنيوية وتسنم المناصب، بل كانت ثورة عقيدة وإصلاح مسيرة، ثورة مناهضة لسطوة المرتدين وجشع الطامعين وحقد الموتورين، ولإيقاف تيّار الانحراف والتجاوز على حدود الله وشرعه؛ قائدها حفيد صاحب الرسالة، ليس في الدنيا ابن بنت نبي غيره، شاء القدر أن يدّخره لحماية الرسالة السماوية العظمى من التشويه، ونهض معه صفوة الصفوة، ومثال الإخلاص وخيرة المضحين بالنفس والنفيس، لنصرة الحق وأهله فكوّنوا جيشاً تقف له الدنيا إعجاباً وإكباراً هو ذلك الجيش الأصغر عبر التاريخ لا يتجاوز تعداده نيف وسبعين مقاتلاً قبالة جيش يعد بالآلاف كما ينقل الرواة، وكانت النتائج البعيدة المدى تقول بانتصار الحق على الباطل ..

ومن الأمور التي تستدعي التأمل: أنّ الإمام الحسين عليه السلام رغم اعتراض بعض المعارف والمقربين على خروجه واصطحابه العيال والأطفال إلى المجهول بل إلى المدينة التي خذلت أباه وأخاه من قبل، لم يستجب لتلك الطلبات وكان جوابه القطعي: (شاء الله أن يراهن سبايا)[1] وهذا يعني أنّ الإمام يتحرك ضمن خارطة مرسومة قد أطلعه عليها جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله عليه السلام: (... هذا ما عهده لي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله)[2] وتحقق ما كان مجهولاً؛ خذلته الكوفة على عادتها، وحصلت المنازلة المعروفة النتائج وكانت الغلبة لجيش الضلالة..

وهنا لابد من الرجوع إلى الهدف الذي كان سيد الشهداء عليه السلام قد أراده من اصطحابه لعياله وأطفاله، فمن جهة: قد أسس للثوّار نهجاً تُلغى فيه كل الذرائع والأعذار وترتفع النفوس إلى مستوى الفطرة؛ ومن الجهة الأخرى: لم يغب عنه عليه السلام بأن جند الشيطان سوف يسدلون الستار على تضحياته ويضيع الهدف من نهضته، فيحتاج إلى من يعلن للناس حقيقة هويّة الثورة والثوّار، فترك المهمة إلى بطلة الهاشميين أخته زينب الكبرى، فكان

مزار السيدة زينب عليها السلام في دمشق في سبعينيات القرن الماضي

لريحانة الزهراء عليها السلام دور فاعل في إتمام الطلب فلم تكن مصاحبتها لأخيها سيد الشهداء عفوية أو مرتجلة بل هي مقصودة فهي مدخرة لذلك، وكان أبوها أمير المؤمنين عليه السلام أخبر بها ويعرف أسرارها حتى إنه عليه السلام عندما زوّجها لابن أخيه عبد الله بن جعفر اشترط عليه أن لا يمنعها من الخروج مع الحسين عليه السلام، لكي تُعد إعداداً يتفق مع المستقبل الذي أخبره به رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس لزوجها حق الاعتراض.

والحقيقة أنّها كانت كما أُريد لها أن تكون أنموذجًا قد امتلأت روحها بعبق جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وشمائل أبيها ولي الله عليه السلام وعظمة أمها سيدة نساء العالمين عليها السلام وكانت بمستوى المسؤولية التي أرادها الإمام عليه السلام وعن طريقها تصل التوصيات إلى الشق الآخر من الركب الحسيني حيث النساء والأطفال، قبل المنازلة وحفظ جموع الأسرى بعد ذلك، إضافة إلى الدور الإعلامي الذي يحفظ الدماء من الضياع ويكشف زيف الجبناء الذين غيّبوا حقيقة الثوّار.

ولا نريد استعراض تفاصيل أحداث المعركة التي لاحت تباشيرها في اليوم التاسع من المحرم وبدأت فعلاً في نهار اليوم العاشر منه عام ٦١هـ، لأنها تمثل أبشع صور الخروج على القيم الإنسانية. ولقد عاشتها العقيلة عليها السلام بكل تفاصيلها المرعبة، وكانت حصتها أكبر، لأن الرجال عرفوا طريقهم إلى الشهادة ورضوا بالمصير الذي كُتب لهم، أما هي فقد أكلت وشربت وتنفست المأساة بأدق مفرداتها وزادها امتحانًا مسؤولية الحفاظ على ما بقي من النساء والأطفال بين ململمة من الأجلاف الذين لم يحملوا من صفات الآدميين إلاّ الأشكال، فلا خلق ولا دين ولا عواطف، فماذا يقال لإنسان يسلب ثوب امرأة أو يقطع إصبع مقتول ليأخذ خاتماً، أو تدفعه الخسّة وسوء المنبت إلى أن يجرد الشهيد من جميع ملابسه، ولا يشفق على طفلة مذعورة فينتزع منها أقراطها، ويلهب ظهور النساء

والأطفال بالسياط. إنّها هجمة بربرية سداها ولحمتها الحقد وسوء المنقلب ..

وقبل أن يتحرك موكب السبايا من أرض كربلاء متوجهاً إلى الكوفة حيث مركز الإمارة إمارة الضال عبيد الله بن زياد بن أبيه.. نفّذت الحوراء آخر مهمة كان أخوها الحسين عليه السلام يمارسها حين يستشهد أحد أنصاره أو أهل بيته، يذهب إليه بنفسه ويترحم عليه ويحتسبه عند الله ويقدّمه قرباناً. فخرجت الحوراء زينب عليها السلام قاصدة جثمان أخيها سيد الشهداء عليه السلام، ووضعت يديها تحت جسده، فشخصت ببصرها إلى السماء؟ وهي تقول بحماسة الإيمان وحرارة العقيدة قائلة: (**اللهم تقبل منا هذا القربان**). وأطلقت بذلك أول شرارة للثورة على الحكم الأموي بعد أخيها)[٣].

وسار موكب الأسارى تتقدمهم رؤوس الشهداء على أسنّة الرماح، منظر لم يألفه الناس، ينم عن حقد أسود وضغينة تحكي الدفين من الكره لمحمد صلى الله عليه وآله وآل محمد، والثأر لمشركي قريش ولآل أُمية خاصة قبل وبعد الفتح.

ووصل الركب إلى الكوفة التي كانت تنتظر نتائج المعركة ومخلّفاتها من نساء منكسرات وأطفال مذعورين وشاب عليل أنهكته المحنة. لقد احتشد الكوفيون يحدّقون بالأسرى، ولم يتحمل بعضهم – وخاصة النساء منهم – تلك الوضعية المأساوية، فاستقبلوهم بالبكاء. وهنا ظهرت العقيلة، وكان لابد من ظهورها بأجلى صورة وأعظم تأثير لكي تؤسس لاستثمار تلك الدماء الطاهرة التي سُفكت على أرض كربلاء، وجعلها منطلقاً لحياة جديدة للإسلام والمسلمين، وعدم تمكين الظالمين من تمرير فعلتهم النكراء بدعاوى كاذبة باطلة، فزأرت في تلك الجموع وألقت خطبة أبكت منها العيون وأوجلت منها القلوب ، نورد بعضًا منها: (**الحمد لله، والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار، أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون ؟ فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ؟ ... ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أنْ سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون ؟ إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ... وسيد شباب أهل الجنّة، ألا ساء ما تزرون، فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي وتبّت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله ورسوله وضربت عليكم الذلة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم . وأي دم له سفكتم وأي حرمة له انتهكتم؟... أفعجبتم أن مطرت السماء دمًا؟.. فلا يستخفنكم المهل لإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإنّ ربكم لبالمرصاد**).[٤]

وهكذا زرعت الحوراء زينب عليها السلام بذرة الرفض الإيجابي في نفوسهم وهيأت الأرضية الصلبة التي سوف تقف عليها لمواجهة سليل الجريمة وأداة البطش في

الكوفة عبيد الله بن زياد..

ومن بوادر الانقلاب الشعبي على حكّام الجور، موقف الصحابي زيد بن أرقم حين رأى رأس الحسين عليه السلام بين يدي عبيد الله وجعل ينكت ثناياه بالقضيب، فقال له: ارفع القضيب عن هاتين الشفتين فو الله الذي لا إله إلاّ هو لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبّلهما، ثم بكى. فقال له ابن زياد:... لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك. فخرج زيد من المجلس وهو يقول: انتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمّرتم ابن مرجانة، يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل، فبعداً لمن رضيَ بالذل[٥].

وفي مجلس ابن زياد المزهو بانتصاره بقتل أبناء النبوّة وسبي ذراريهم وعيالهم يظهر لزينب الكبرى الأثر البالغ والحضور المؤثر الذي مرّغ جبين ابن زياد بوحل الإهانة والاحتقار، والرد الذي لم يكن يتوقعه من أسيرة مكسورة الجناح، فقد انحازت عليها السلام عن النساء، وهي متنكّرة... فقال ابن زياد: من هذه المتنكرة؟ قيل له: ابنة أمير المؤمنين (زينب العقيلة) فأراد أن يحرق قلبها بأكثر مما هي فيه، فقال متشمتاً: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم. قالت عليها السلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيرا. إنمّا يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر وهو غيرنا.

وهكذا قارنت بين عالمين متناقضين، عالم الطهر، المتمثل بأبناء الأنبياء وحملة القرآن وعالم أبناء الزنا وأدعياء النسب وأرباب الشرك والعداء لمحمد وآله وللإسلام وأخلاقه السامية، عالم يضم ابن زياد وأمه وزياد وأمه والذي ألحقه بنسبه معاوية وآبائه، فلم يملك ما يرد به، وتحوّل إلى وسيلة ليس له بها صلة، أراد منها الهرب من الواقع الذي يلفّه لفاً فقال لها: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟ فكان ردها عليها السلام رد المؤمن الواثق من قضاء الله وقدره بقولها: ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فَتُحاج وتُخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة. وهنا سقط الدعي وفقد الحجة التي تنقذه من المصير الذي ينتظره فاستشاط غضباً ولجأ إلى سلطان الشر، وهمَّ بالانتقام لولا تدخّل عمرو بن حريث وثنيه عن

سوء نيّته..

لقد جرى ذلك أمام حشد من الحاضرين، فدبّت في ضمائر بعضهم حمية الإسلام، وانكشفت أمامهم هوية الأسرى والشهداء الثائرين وكذبة حكامهم بأنهم خوارج، فهاج الحاضرون ولكن جور الطاغية أخرسهم. وعندما رقى ابن زياد المنبر في الجامع الأعظم في الكوفة، وأعلن انتصار أمير الفاسقين يزيد، بقتل أبناء العترة، وبدأ بسب الحسين وأبيه وشيعته، تصدى له عبد الله بن عفيف الأزدي بقوله: يا ابن مرجانة الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاّك وأبوه، يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصدّيقين.. أتقتلون الذرية الطاهرة التي أذهب الله عنهم الرجس وتزعم أنك على دين الإسلام، وا غوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد رسول رب العالمين[٦].

وكان هذا أول الغيث، وقد عمّت الكوفة مجالس العزاء وعرف الناس تفاصيل ما جرى على رمضاء كربلاء، وإن الأحقاد الدفينة قد استيقظت وثارات بدر قد استوفيت، وإن أدعياء الدين والحاكمين باسم الإسلام بعيدون عن الإسلام وأهله، وليس هم إلاّ ملوكاً يحكمون بالجور والسيف وشراء الذمم.

ويصل الرأس الشريف إلى الشام بعد رحلة ذاق فيها الأسرى أقسى أنواع الظلم والجهد والتشهير، ويوضع بين يدي المارق عن الدين يزيد بن معاوية، وتجري أمور، ويحصل أخذ ورد بالكلام بين الطاغية والإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام، وينتصر أبو برزة الأسلمي للمظلومين بما سمعه من رسول لله صلى الله عليه وآله أنه قال في الحسن والحسين: أنتما سيدا شباب أهل الجنّة، قتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيرا..[٧] وكان لرسول القيصر احتجاج على يزيد وقد ختمه بقوله: أشهد أنكم على باطل[٨].

وهنا جاء دور العقيلة عليها السلام حين سمعت يزيد وهو يتمثل بأبيات من الشعر:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً
ثم قالوا يا يزيد لا تشل

فقالت في خطبتها التاريخية الخالدة التي أفحمت بها يزيد وأقطاب دولته، وأخرست المفوهين من زبانيته وأعادت لساحات الخطابة وميادين الفصاحة آيات نهج البلاغة، وطرقت على رؤوس المعتدين بمطارق الحق المؤيد بكتاب الله وسنّة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله.

لقد حققت عقيلة الطالبيين ما يعجز عنه الآخرون، فإلى جانب نجاحها في فضح جرائم عبيد الله ابن زياد ومرتزقته استطاعت أن تحمي الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام بوقوفها فدائية بوجه الطاغية في مجلسه في الكوفة وبذلك حفظت حجة الله في أرضه إدامةً لدور الإمامة. كما حمت بنات العترة من تطاول الطامعين وكان لها موقف خالد في مجلس يزيد في قضية أختها فاطمة وطلب الشامي من يزيد أن يهبها له ولم تمكنه من ذلك[٩].

واستطاعت عليها السلام أن تُحدث إرباكاً ظاهراً في الوسط الشعبي في حاضرة بني

أُمية دمشق وخاصة في بيت يزيد نفسه وبين روّاد مجلسه حيث عاب عليه خاصته ونساؤه قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يجد مناصاً من إلقاء التبعة على عاتق ابن زياد . ولما خشي الفتنة وانقلاب الأمر عليه عجّل بإخراج السجاد والعيال من الشام إلى وطنهم المدينة المنوّرة[10].

نعم، هذا هو دور العقيلة زينب الكبرى صاحبة النصف الآخر من ثورة الحق بسلاح لا يقل فتكاً من السيف، فلقد حفزت في الناس الحمية الصادقة والغيرة على الإسلام المهدد، حتى بدؤوا يحسّون وخز الندم، وشجعت الأباة على الاحتجاج فكانت ثورة التوابين في معركة عين الوردة للأخذ بثأر الحسين عليه السلام وثورة المختار بن أبي عبيد واستئصاله شأفة المتورطين في جرائم القتل والتنكيل بشهداء الطف، وتبعتها ثورة زيد بن علي بن الحسين الشهيد عليه السلام وقيام يحيى بن زيد في الجوزجان ضد الحكم الأموي، وأخيراً الثورة العلوية التي استثمرها بنو العباس لصالحهم وبها انتهى الحكم الأموي في الشام .

لم تعش السيدة زينب عليها السلام بعد أخيها سيد الشهداء سوى عام ونصف عام لكنها استطاعت في هذه الفترة القصيرة أن تغيّر مجرى التاريخ.. ولم تمض إلاّ بعد أن أفسدت على ابن زياد ويزيد وبني أُمية لذة النصر، وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين فكانت فرحة لم تطل[11] ■

---

١) المقرّم / مقتل الحسين ص١٧٠ عن البحار ١٠: ١٨٤ .

٢) ابن طاووس / اللهوف في قتلى الطفوف ص٣٣، المقرم / مقتل الحسين ص١٩٨ .

٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام/باقر شريف القرشي ج٢ص٣٠١.

٤) يقول السيد المقرّم في هامش (٢) من صفحة ٣٢٨ من مقتل الحسين: رتّبنا الخطبة من أمالي الطوسي، وأمالي إبنه، واللهوف، وابن نما، وابن شهر آشوب، والاحتجاج .

٥) الطبري / تاريخ الطبري ٥: ٤٥٦ ، الهيثمي / الصواعق المحرقة ص١١٨ . وفي هامش رقم (٢) ص٣٤١ من مقتل الحسين للمقرم يقول: ولا ينافي كونه أعمى على تقدير صحة الخبر لجواز انه سمع بذلك فأنكر عليه .

٦) المقرّم/ مقتل الحسين ص٣٤٤ – ٣٤٥.

٧) المقرّم / مقتل الحسين ص٣٧٤ عن اللهوف ص١٠٢ وتاريخ الطبري٦: ٢٦٧.

٨) الهيثمي / الصواعق المحرقة ص١١٩.

٩) المصدر السابق

١٠) المقرّم / مقتل الحسين ص ٣٨١ وانظر الإرشاد للشيخ المفيد ص ٣٠٨ .

١١) بنت الشاطئ / بطلة كربلاء ص ١٥٧-١٥٨.

الاتجاهات العقدية للزعماء والقادة الذين شاركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام

د. علي الفحام •

ينابيع

تنتشر في أدبيات المدرسة السلفية المعاصرة شبهة واهية لم تنشأ من الجهل وقلة الفهم وحسب – كما الحال في كثير من الشبهات -، وإنما نشأت من أغراض (تعمدية) متناغمة مع (بروباغندا) التضليل التي يتسم بها الخطاب الديني السلفي بما يحمل من موروث أموي قائم على أساس تراكمات الجهل المعرفي وعُقد الحقد على التشيع والبعد عن المنظومة القيمية للإسلام الحنيف. وخلاصة هذه الشبهة أن الشيعة هم الذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام بعد أن كاتبوه ووعدوه النصرة ثم خذلوه واصطفوا إلى جنب الدولة الأموية في قتاله وسبي أهله ونسائه، ويستدلون بمجموعة من النصوص العائمة والعبارات الفضفاضة لتأييد هذه الشبهة وتسويقها للرأي العام الإسلامي.

الشبهة في منظار النقد

بإمكان الباحث إسقاط هذه الشبهة الواهية من جهات عدة، أولها البحث في الاتجاهات العقدية لمجتمع الكوفة الذي كان خليطاً من تناقضات وولاءات سياسية وعقدية لم يكن للشيعة المخلصين فيها إلا صبابة كصبابة الإناء، وثانيها التفريق بين التشيع السياسي والتشيع العقدي، وكثير من الباحثين يخلطون بينهما أو يتعمدون الخلط بينهما، والحق أن الغالب على التشيع في ذلك الوقت الولاء السياسي للخط العلوي في مقابل الخط الأموي، وليس الاصطفاف على أساس الفهم العقدي والفكري بدليل أن كثيراً من أولئك المحسوبين على التشيع كانوا يرون شرعية خلافة أبي بكر وعمر، فأين هذا من التشيع العقدي وخطه الرافض لانقلاب السقيفة الأسود؟!

إن الاتجاه الثالث في رد هذه الشبهة يقوم على أساس البحث في الخلفية العقدية للزعماء والقادة الذين شاركوا في قتال الإمام الحسين عليه السلام وشكلوا أعمدة الجيش والدولة الأموية في الكوفة وساهموا في قمع الشيعة وملاحقتهم وقتلهم، وهذا الاتجاه هو الذي يدور حوله محور حديثنا، وسنبدأ بذكر أولئك القادة الأجلاف بحسب مرتبتهم في الدولة الأموية:

أولاً: يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (لعنهم الله)

بقية الطلقاء من آل أبي سفيان، كان رأس الدولة الأموية الغاشمة، وهو الذي أصدر الأوامر بقتل الإمام الحسين عليه السلام وسبي عياله وأطفاله، ويكفينا في بيان حاله ما ذكره المؤرخ (السلفي) الشهير شمس الدين الذهبي في ترجمته قائلاً: (وكان ناصبياً، فظاً، غليظاً، جلفاً. يتناول المسكر، ويفعل المنكر. افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرة، فمقته الناس. ولم يُبارك في عمره....)[1].

ثانياً: عبيد الله بن زياد (لعنهما الله).

المسؤول التنفيذي الأول في الكوفة، والمشرف المباشر على عمليات القتل والقمع ضد الإمام الحسين عليه السلام وشيعته، وكان من رموز النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام حتى إنه بنى أربعة مساجد في البصرة كلها تقوم على بغض أمير المؤمنين عليه السلام وسبه والوقيعة فيه[2]، وقد جمعت نفسه اللئيمة كل صفات الشر والفساد، وصفه الذهبي بأنه (قبيح السريرة)[3] وأضاف قائلاً: (أبغضه المسلمون لما فعل بالحسين رضي الله

عنه)[٤].

ثالثاً: عمر بن سعد بن أبي وقاص (لعنهما الله)

كان سعد بن أبي وقاص من رجالات قريش الذين لم يوالوا أهل البيت عليهم السلام، وقد وقف في لجنة الشورى السداسية بالضد من أمير المؤمنين عليه السلام وتنازل عن صوته لعبد الرحمن بن عوف[٥]، وكان أحد المتخلفين عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان بن عفان[٦]، روى شيخنا أبو جعفر بن قولويه القمي، أن أمير المؤمنين عليه السلام قال له: (ما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني)[٧]، وقد نشأ ابنه عمر على سر أبيه في توجهاته العقدية الناصبية، وهو الذي قاد جحافل الجيوش التي قتلت أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسبت عياله في كربلاء، ومع ذلك فقد وثقه بعض علماء العامة دون وجل أو استحياء، قال العجلي: (تابعي ثقة وهو الذي قتل الحسين!!)[٨]، وقال الذهبي: (باشر قتال الحسين وفعل الأفاعيل)[٩].

رابعاً: شَمِر بن ذي الجوشن العامري (لعنه الله).

تستدل المدرسة السلفية على تشيعه بقتاله ضد جيش معاوية في حرب صفين، وهذا استدلال لا يقوله إلا جاهل لا يعرف التحقيق أو معاند يتعمد الكذب والتدليس، فالمعروف أن غالبية جيش أمير المؤمنين عليه السلام في صفين لم يكونوا من الشيعة، بدليل أن الآلاف منهم صاروا في ما بعد من (الخوارج) الذين كانوا يوالون أبا بكر وعمر ويكفرّون أمير المؤمنين عليه السلام، فأين هؤلاء من التشيع الذي يقوم بالأساس على الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام والبراءة من أعدائه؟؟!!

أما اللعين شَمِر بن ذي الجوشن فقد صار من جلاوزة زياد بن أبيه في زمن معاوية، وهو أحد الذين شهدوا على حجر بن عدي أنه (كفر كفرة صلعاء)[١٠]، وهو الذي قال للإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء: (تعبد الله على حرف)[١١]، وقال له أيضاً: (يا حسين استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة)[١٢]، ومما يدل على سوء نظرته العقائدية ما رواه الذهبي عن أبي إسحاق [السبيعي] قال: كان شمر يصلي معنا، ثم يقول: اللهم إنك تعلم أني شريف فاغفر لي. قلت: كيف يغفر الله لك وقد أعنت على قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: (ويحك! فكيف نصنع؟ إن أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنا شراً من هذه الحُمُر السقاة...)[١٣] فهو يعتقد أن (الأمراء) هم (بنو أمية)، وأن (مخالفتهم) محرمة شرعاً، فأي تشيع يبقى لهذا الناصبي الخبيث؟؟!!

خامساً: شَبَث بن رِبعي التميمي اليربوعي (لعنه الله)

كان على رأس الرجالة يوم كربلاء[١٤]، مؤذن سجاح المتنبئة[١٥]، خارجي لعين، ثم جلواز أموي، ثم زبيري هالك، أورد البخاري في تاريخه الكبير عن شبث بن ربعي قوله: (أنا أول من حرر الحرورية، فقال رجل: ما في هذا مدح)[١٦]!! والحرورية هم الخوارج الذين كفروا أمير المؤمنين عليه السلام، وكان أمير

المؤمنين عليه السلام نهى عن الصلاة في مسجد شبث بن ربعي في الكوفة[١٧]، وفي عهد معاوية صار شبث من رجالات السلطة وجلاوزتها، ويظهر من بعض المرويات أنه كان ممن يسب علياً عليه السلام في الكوفة طمعاً في الأموال وتزلفا للسلطان[١٨]، وكان شبث من الذين شهدوا على حجر بن عدي أنه (كفر كفرة صلعاء)[١٩].

سادساً: قيس بن الأشعث بن قيس الكندي (لعنه الله)

كان على ربع ربيعة وكندة يوم عاشوراء[٢٠]، وهو من عائلة حاقدة على أهل البيت عليهم السلام، فأبوه الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام[٢١]، وأخته جعدة سمّت الإمام الحسن عليه السلام[٢٢]، وهو وأخوه محمد بن الأشعث شاركا في قتال الحسين عليه السلام وقتال مسلم بن عقيل عليه السلام.

سابعاً: عمرو بن الحجاج الزبيدي (لعنه الله)

أورده ابن حجر في عداد الصحابة[٢٣]، وهو من الشخصيات الانتهازية ذات النزعة الأموية، وكان من الشهود على حجر بن عدي، وقد وصف الحسينَ عليه السلام وأصحابه بالمارقين[٢٤]. انضم بعد واقعة الطف إلى راية ابن زبير.

ثامناً: حجار بن أبحر العجلي(لعنه الله)

مات أبوه نصرانياً، وكان هو من رفقاء المغيرة بن شعبة ومن المحاربين تحت راية زياد بن أبيه[٢٥]، ثم صار من جلساء معاوية في الشام[٢٦]، وهو من شهود الزور ضد حجر بن عدي.

تاسعاً: عروة (أو عزرة) بن قيس الأحمسي(لعنه الله)

من رفقاء خالد بن الوليد[٢٧]، ولاه عمر على مدينة حلوان[٢٨]، وهو عثماني الهوى، شهد على حجر بن عدي بالكفر، كان مسؤولاً عن محاصرة خيام الإمام الحسين عليه السلام حين نزوله كربلاء[٢٩]، ثم وضعه ابن سعد على رأس الخيل يوم عاشوراء[٣٠]، شارك في حمل الرؤوس الشريفة لابن زياد.

عاشراً: شريح بن الحارث القاضي الكندي (لعنه الله)

من فقهاء السوء، عينه عمر للقضاء، وكان عثماني الهوى، اضطر أمير المؤمنين عليه السلام أن يبقيه على القضاء ثم عزله، كان من بطانة السلطة وفقهاء البلاط الأموي، شهد على حجر بن عدي، وساهم في القضاء على انتفاضة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة[٣١].

حادي عشر: كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي(لعنه الله)

قال ابن الأثير: (ولما ولي المغيرة الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري وكان يكثر سب علي على منبر الري)[٣٢]، وقال البلاذري: (كان عثمانياً يقع في علي بن أبي طالب ويثبط الناس عن الحسين)[٣٣]، وقال الطبري: (وخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن ابن عقيل)[٣٤].

ثاني عشر: الحصين بن نمير التميمي(لعنه الله)

عثماني، أموي، سافك للدماء، شديد الحقد على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، كان على رأس شرطة عبيد الله بن زياد في الكوفة وساهم في قمع انتفاضة مسلم بن عقيل[٣٥]، وهو الذي أسَر الشهيد عبد الله بن يقطر وبعثه

لعبيد الله بن زياد[٣٦]، ساهم بشكل فاعل في القتال يوم عاشوراء، وهو الذي رمى الإمام الحسين عليه السلام بسهم في فمه لما أراد شرب الماء[٣٧].

وقد سجل لنا التاريخ أسماء عديدة للصحابة والتابعين ممن شاركوا بشكل مباشر أو غير مباشر في قتال الإمام الحسين عليه السلام، وجُلّ هؤلاء من المعروفين بالنزعة الأموية والهوى العثماني، نذكر منهم: عمرو بن حريث المخزومي (صحابي، عثماني الهوى، في جهاز الشرطة لعبيد الله بن زياد)، سمرة بن جندب (صحابي عثماني الهوى ناصبي)، عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي (صحابي، من شهود الزور على حجر، صار في ما بعد من جلاوزة الحجاج) [٣٨].

صور عن حقيقة الصراع المذهبي في كربلاء

نختم الكلام بذكر ثلاث صورة تاريخية تثبت حقيقة الصراع المذهبي الذي كان قائماً بين الشيعة أتباع الإمام الحسين عليه السلام وبين العثمانيين والأمويين والنواصب في الطرف الآخر:

الصورة الأولى: أصحاب الحسين عليه السلام على (دين علي)، والقتلة على (دين عثمان)

روى الطبري (أن نافع بن هلال كان يقاتل يومئذ وهو يقول: أنا الجملي أنا على دين علي، قال: فخرج إليه رجل يقال له مزاحم بن حريث فقال: أنا على دين عثمان، فقال له أنت على دين شيطان، ثم حمل عليه فقتله...)[٣٩].

الصورة الثانية: نقاتلك بغضاً لأبيك

أورد القندوزي الحنفي في ينابيع المودة، قال: (ثم دنا [أي الحسين عليه السلام] من القوم وقال:(يا ويلكم أتقتلوني على سُنّة بدّلتها؟ أم على شريعة غيّرتها؟ أم على جُرم فعلته ؟ أم علي حق تركته؟). فقالوا له: إنا نقتلك بغضاً لأبيك..)[٤٠].

الصورة الثالثة: منع الحسين عليه السلام من الماء انتقاماً لعثمان بن عفان!

ذكر الدينوري في أخباره: (وورد كتاب ابن زياد على عمر بن سعد، أن امنع الحسين وأصحابه الماء، فلا يذوقوا منه حسوة كما فعلوا بالتقي عثمان بن عفان)[٤١]، ومن مصادرنا الشيعية أورد الشيخ الصدوق قول جيش عمر بن سعد: (فو الله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله)[٤٢] يقصدون عثمان ■

---

١) سير أعلام النبلاء ٤\٣٧.
٢) شرح نهج البلاغة ٤\٩٤.
٣) سير أعلام النبلاء ٣\٥٤٥.
٤) المصدر نفسه ٣\٥٤٦.
٥) بحار الأنوار ٣١\٣٩٩.
٦) شرح الأخبار للقاضي النعماني ٢\٨٢.
٧) كامل الزيارات ١٥٥.
٨) تهذيب التهذيب ٧\٣٩٦.
٩) الاعتدال ٣\١٩٨.
١٠) تاريخ الطبري ٤\١٩٩.
١١) تاريخ الطبري ٤\٣٢٣ الكامل ٤\٦٢.
١٢) تاريخ الطبري ٤\٣٢٢.
١٣) ميزان الاعتدال ٢\٢٨٠، تاريخ ابن عساكر ٢٣\١٨٩، تاريخ الإسلام للذهبي ٥\١٢٥، وقد اختلف في ضبط العبارة الأخيرة، ففي بعض الروايات (الحمير السقاءات) وفي بعضها

(الحمر الشقاة).

١٤) الكامل لابن أثير ٤\٦٠.

١٥) تهذيب الكمال: ١٢\ ٣٥٢، تقريب التهذيب: ١ \٤١١، الإصابة ٣\٣٠٣ .

١٦) التاريخ الكبير ٤\٧ ٢٦، تاريخ ابن خياط ١٤٤.

١٧) تهذيب الأحكام ٣\٣٩.

١٨) المستدرك للحاكم ٣\١٢١.، جزء الحميري ص٢٨، تاريخ ابن عساكر ٣٢\٥٣٣ وفيه (شبث) بدل (شبيب)

١٩) تاريخ الطبري ٤\٢٠٠.

٢٠) الكامل لابن أثير ٤\٦٠.

٢١) في الكافي ٨\١٦٧.

٢٢) أسد الغابة ٢\١٥.

٢٣) الإصابة ٥\١١١.

٢٤) الطبري ٤\٣٣١.

٢٥) تاريخ ابن خياط ١٦٨، تاريخ الطبري ٤\١٣٩.

٢٦) تاريخ ابن عساكر ١٢\٢٠٦.

٢٧) ابن حبان في الثقات ٥\٢٧٩.

٢٨) فتوح البلدان ٢\٣٧٠.

٢٩) مقتل الحسين لأبي مخنف ١١٣.

٣٠) الإرشاد ٢\٩٥، الأخبار الطوال ٢٥٦، الكامل ٤\٦٠.

٣١) ما قبل عاشوراء للشيخ محمد هادي الأسدي ص٢٨٦.

٣٢) الكامل لابن أثير ٣\٤١٣.

٣٣) فتوح البلدان ١\٣٢٢.

٣٤) تاريخ الطبري ٤\٢٧٦.

٣٥) الإرشاد ٢\٦٩، تاريخ الطبري ٤\٢٩٧.

٣٦) روضة الواعظين ١٧٧. تاريخ الطبري ٤\٢٩٧.

٣٧) الأخبار الطوال ٢٥٨.

٣٨) إمتاع الأسماع للمقريزي ١١\٣٤١.

٣٩) تاريخ الطبري ٤\٣٣١.

٤٠) ينابيع المودة ٣\٨٠.

٤١) الأخبار الطوال للدينوري ٢٥٥.

٤٢) الأمالي ص٢٢٢.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام

قال: (أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها غرفًا في الجنة يسكنها أحقابًا).

(كامل الزيارات ص ٢٠٧)

قال الإمام الرضا (ع):

من تذكَّر مصابنا فبكى وأبكى، لم تبك عينه يوم تبكي العيون .

(هداية الأمة ج٥ ص٥٠٠)

سيد الشهداء عليه السلام والقرآن

أ.م.د خليل خلف بشير •
جامعة البصرة – كلية الآداب

لقد تمثّل الإمام الحسين عليه السلام القرآن الكريم، وحفظ نصه، وأتقن أساليبه وطرق تعبيره، وأحاط بوجوه إعجازه لاسيما وأن معلمه الأول جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وأباه أمير المؤمنين عليه السلام فأتقن ما ورد عنهما من أحاديث وخطب ورسائل فخبر عنهما طرق التعبير وفنونه فقد حمل الإمام الحسين عليه السلام عن جده وأبيه إرثاً عظيماً متمثلاً ببلاغة القول وفصاحة اللسان وقوة التعبير فهو سليل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل [1].

وكانت الصلة بين الإمام الحسين والقرآن الكريم عميقة جداً فالاتصال بينهما هو فوق حدِّ البيان وخارج عن وصف الأقلام، فكان عليه السلام عشيق القرآن وحليفه ليلاً ونهاراً، وخير دليل على ذلك ما ورد في زياراته، ففي زيارته في ليلة القدر: ((**أَشْهَدُ أَنَّكَ أَقَمْتَ الصَّلاةَ وَآتَيْتَ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَرِ، وَتَلَوْتَ الكِتابَ حَقَّ تِلاوَتِه**...))[2]، وفيها أيضاً قوله: ((السَّلامُ عَلَيْكَ يا بابَ المَقامِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا شَرِيكَ القُرْآنِ، . . .))[3]، وكذا في زيارته في عيدي الفطر والأضحى المباركين قوله: ((وَأَشْهَدُ أَنَّكَ التَّالِيَ لِكِتابِ اللّه وَأَمِينُ اللّه الدَّاعِي إِلى اللّه بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ))[4].

الحسين عليه السلام شريك القرآن

أجل كان الإمام الحسين عليه السلام تالياً كتاب الله، وكان تالياً له حق تلاوته فقد أحكم القرآن بتلاوة آياته الكريمة، وبذل دمه ومهجته في سبيله، وأنه شريكٌ للقرآن من جوانب متعددة ومختلفة من ذلك أنه شارك القرآن في اثنين وثلاثين اسماً، وقد أعطاه الله تعالى لأجل ذلك خصائص القرآن وصفاته فهو (كلام الله

حقيقة، وهو متكلم ناطق حقيقي، وجوده على نحو وجود الكلام لله تعالى، ومبّين لكلام الله الصامت، وأنهما لن يفترقا، وأنهما الثقلان اللذان خلفهما رسول الله المصطفى محمد صلى الله عليه وآله[٥]، وأودعهما أمته.

أهمية القرآن عند الحسين عليه السلام

لقد أمد الله الحسين عليه السلام بإمدادات رحمانية وألطاف رحيمية سماوية فهو في مواطن يعجز فيها الأبطال عن الثبات والاستقامة يخرج بقوة إرادته واسترشاده من القرآن الكريم منصوراً ناجحاً قد غلب عدوه وبدّل خصمه العادي محباً وفياً له، والشواهد كثيرة وحسبنا منها ما روي عن عصام بن المصطلق أنه قال: ((دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي عليهما السلام فأعجبني سمته ورواؤه، وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض، فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟ فقال: نعم. فبالغت في شتمه وشتم أبيه. فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف، ثم قال :أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ**) (الأعراف / الآيات ١٩٩-٢٠٢) ثم قال لي: خفض عليك، استغفر الله لي ولك، انك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا لرشدناك. قال عصام: فتوسم مني الندم على ما فرط مني. فقال: (**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**) (يوسف: ٩٢) أمن أهل الشام أنت؟ قلت: نعم. فقال: (شنشنة أعرفها من أخزم)[٦] حيّانا الله وإياك، انبسط إلينا

في حوائجك، وما يعرض لك تجدني عند أفضل ظنك إن شاء الله تعالى. قال عصام: فضاقت علي الأرض بما رحبت وودت لو ساخت بي، ثم سللت منه لواذًا وما على الأرض أحب إلي منه ومن أبيه))[٧].

القرآن نهج الحسين عليه السلام في حركته

لم يفارق القرآن الكريم وتلاوته والاستشهاد به شفتي أبا عبد الله عليه السلام في حِلّه وترحاله وفي كل حركة وسكنة له عليه السلام، فقد روى الشيخ المفيد ((... فسار الحسين عليه السلام إلى مكة وهو يقرأ: **(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)**(القصص: ٢١)، ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما صنع ابن الزبير لئلا يلحقك الطلب، فقال: (لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض). ولما دخل الحسين عليه السلام مكة كان دخوله إليها ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، دخلها وهو يقرأ: **(وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)** (القصص: ٢٢)...))[٨].

الليلة الأخيرة والقرآن

أما حبه للقرآن فمن كلام له لأخيه العباس حين أنهى إليه أن القوم قالوا قد جاء أمر الأمير أن يعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم: ((ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غد، وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني كنت قد أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار))[٩].

وهكذا مضى الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة يصلون ويتضرعون ويتلون القرآن.((قال الراوي: وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دوي كدوي النحل ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلًا وكذا كانت سجية الحسين عليه السلام في كثرة صلاته وكمال صفاته))[١٠].

وفي اليوم العاشر في خطاباته للقوم لم تخلُ من الذكر الحكيم فقد كان يقرأ بآيات القرآن، ويترنم بها بل ربما يقرأها جهراً بحيث يسمعه كل من يمر به. قال الضحاك بن عبد الله: ((ومرت بنا خيل لابن سعد تحرسنا وإن حسينًا عليه السلام ليقرأ: **(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)** (آل عمران: ١٧٨) فسمعها من تلك الخيل رجل يقال له: عبد الله بن سمير، وكان مضحاكاً وكان شجاعًا بطلًا فارسًا شريفًا فاتكًا فقال: نحن ورب الطيبون ميزنا بكم، فقال له برير بن خضير: يا فاسق أنت يجعلك الله من الطيبين؟ قال له: من أنت ويلك، قال: أنا برير بن خضير فتسابّا))[١١].

بلاغة الحسين عليه السلام والقرآن

على أن سيد الشهداء عليه السلام كان ينتقي الآيات القرآنية بحسب المقامات

المناسبة، ولعمري هذا قمة البلاغة لاسيما وأنّ العلماء قد عرّفوا البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال فمرة يقف على رأس شهيد فيقرأ آية الشهادة، وأخرى يقدّم ابنه الشاب وشبيه رسول اللهﷺ – علي الأكبر – فيقرأ آية الاصطفاء. قال السيد ابن طاووس: ((ثم خرج مسلم بن عوسجة فبالغ في قتال الأعداء وصبر على أهوال البلاء حتى سقط إلى الأرض وبه رمق فمشى إليه الحسينعليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر فقال له الحسينعليه السلام: رحمك الله يا مسلم (**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**) (الأحزاب: ٢٣))[١٢]. فأول من خرج منهم علي بن الحسين الأكبر وكان علي من أصبح الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا وكان عمره تسع عشرة سنة أو ثماني عشرة سنة أو خمسا وعشرين سنة وهو أول قتيل يوم كربلاء من آل أبي طالب، فاستأذن أباه بالقتال فأذن له ثم نظر إليه نظر آيس منه وأرخى عينيه فبكى ثم رفع سبابتيه نحو السماء وقال اللهم كن أنت الشهيد عليهم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلْقًا وخُلُقًا ومنطقًا برسولك وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه، ثم رفع صوته وتلا (**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (آل عمران: ٣٣))[١٣].

أصحاب الحسينعليه السلام والقرآن

لم يكن الإمام الحسينعليه السلام وحده عاشقاً القرآن بل أعطاه الله أصحاباً خير أصحاب كانوا أهل القرآن وقراء كتاب الله ومعلميه يتلون آيات القرآن آناء الليل وأطراف النهار فكان من أصحابه من هو مقرئ للقرآن كبرير بن خضير الذي كان يلقب بشيخ القراء. قال السيد محسن الأمين: ((كان برير شيخًا تابعيًا ناسكًا قارئًا للقرآن من القراء ومن أصحاب أمير المؤمنينعليه السلام، وكان من أشراف الكوفة من الهمدانيين قال أهل السير إنه لما بلغه خبر الحسينعليه السلام سار من الكوفة إلى مكة ليجتمع بالحسينعليه السلام فجاء معه حتى استشهد))[١٤]، فلما رجع قاتله كعب بن جابر ((قالت له امرأته أو أخته النوار بنت جابر أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء لقد أتيت عظيمًا من الأمر والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً))[١٥]. ناهيك عن حبيب بن مظاهر الأسدي الذي نعته الإمام الحسينعليه السلام بوصف جميل وهو أنه كان يختم القرآن في ليلة واحدة في قوله عليه السلام: ((لله درك يا حبيب لقد كنت فاضلًا تختم القرآن في ليلة واحدة))[١٦].

رأس الحسينعليه السلام والقرآن

لعل أعلى مظاهر عشق الإمام للقرآن قد تجلت ما لم يظهر من غيره ذلك أنه لم يدع تلاوة القرآن حتى بعد أن فرّق بين رأسه وبدنه فسمع صوت التلاوة يخرج من فمه الشريف في تلك الحال، وهو مظهر تفرد به سيد الشهداء دون غيره، وهو من أعجب الأعاجيب التي يتحيّر عندها العقول، وهو ما يفصح عن كمال علقة الحسينعليه السلام بالقرآن وشدة تعلقه وارتباطه به فقد كان رأسه الشريف المفصول عن الجسد يتكلّم ويقرأ القرآن ويترنم بآياته الكريمة، ومن ألطاف الله أنه قد نقل ذلك المخالفون أيضاً[١٧]، ومنهم الدميري في قوله: ((تكلم

بعد الموت أربعة: يحيى بن زكريا حين ذبح، وحبيب النجار حيث قال يا ليت قومي يعلمون، وجعفر الطيار حيث قال: (**ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ... إلخ**) (آل عمران:١٦٩)، والحسين بن علي عليه السلام حيث قال: (**سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**)(الشعراء:٢٢٧))[١٨].

بعث عبيد الله بن زياد برأس الحسين عليه السلام فدير به في سكك الكوفة كلها وقبائلها. يقول زيد بن أرقم: ((مُرَّ به عليّ وهو على رمح وأنا في غرفة، فلما حاذاني سمعته يقرأ: (**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**) (الكهف: ٩)) فقف - والله - شعري وناديت: رأسك والله - يا ابن رسول الله - أعجب وأعجب))[١٩] ■

---

١) ينظر: الخطاب الحسيني في معركة الطف – دراسة لغوية وتحليل / د.عبد الكاظم محسن الياسري٢٧-٢٨.

٢) المزار / محمد بن جعفر المشهدي ٤١٥.

٣) نفسه ٤٢٦.

٤) بحار الأنوار / المجلسي ٣٥٣/٩٨.

٥) ينظر: الخصائص الحسينية / الشيخ جعفر التوستري ٣٥١-٣٥٢.

٦) مثل يُضرب للرجل الذي يشبه أباه. ينظر: جمهرة الأمثال / أبو هلال العسكري ٥٤١/١.

٧) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة / الشيخ المحقق عباس القمي٢٠٧- ٢٠٨.

٨) الإرشاد / الشيخ المفيد ٣٦/٢.

٩) بحار الأنوار ٣٩٢/٤٤.

١٠) اللهوف في قتلى الطفوف ٥٧.

١١) بحار الأنوار ٣/٤٥.

١٢) اللهوف في قتلى الطفوف ٦٤.

١٣) أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين ٦٠٧/١.

١٤) أعيان الشيعة ٥٦١/٣.

١٥) نفسه ٥٦٢/٣.

١٦) شجرة طوبى / الشيخ محمد مهدي الحائري ٤٤٢/٢.

١٧) ينظر: العترة والقرآن / الشيخ علي الكريمي الجهرمي ١٠٧.

١٨) حياة الحيوان الكبرى / كمال الدين الدميري ٨٦/١.

١٩) الإرشاد ١١٧/٢.

روي : أنّ اللهَ عوّض **الحسين** عليه السلام من قتله أن جعل الشفاء في تربته ، وإجابة الدعاء تحت قبّته، والأئمّة من ذرّيّته، وأن لا تعدّ أيام زائريه من أعمارهم.

(هدية الأمة/ الحر العاملي ج٥ ص٤٩٥)

روايات

❖ (عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:
كان الحسين عليه السلام مع أمه تحمله،
فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لعن الله قاتليك،
ولعن الله سالبيك، وأهلك الله المتوازرين عليك،
وحكم الله بيني وبين من أعان عليك، فقالت فاطمة:
يا أبه أي شيء تقول، قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي
وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في
عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر
إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم. فقالت: يا أبه
وأين هذا الموضع الذي تصف، قال: موضع يقال له كربلاء،
وهي ذات كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، يخرج عليهم شرار أمتي،
ولو أن أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شفعوا
فيهم وهم المخلدون في النار. قالت: يا أبه فيقتل؟! ، قال:
نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات
والأرضون والملائكة والوحش والحيتان في البحار والجبال، لو
يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، وتأتيه قوم من محبينا
ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على
ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم. أولئك مصابيح في ظلمات
الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا
علي بسيماهم، وأهل كل دين يطلبون أئمتهم وهم يطلبوننا
ولا يطلبون غيرنا، وهم قوّام الأرض، بهم ينزل الغيث - وذكر
الحديث بطوله) .

(كامل الزيارات /ص١٤٥)

قصيدة الشاعر المسيحي
بولس سلامة في الحسين عليه السلام:
((كوكب الفرد))

أنزلوه بكربلاء وشادوا حوله من رماحهم أسوارا
لا دفاعاً عن الحسين ولكن أهل بيت الرسول صاروا أُسارى
قال : ماهذه البقاعُ فقالوا كربلاء فقال : ويحكِ دارا
هاهنا يشربُ الثرى من دمانا ويثيرُ الجمادَ دمعُ العذارى
بالمصير المحتوم أنبأني جدي وهيهات أدفع الأقدارا
إن خَلَتْ هذه البقاع من الأزهار تمسي قبورُنا أزهارا
أو نجوماً على الصعيد تهاوت في الدياجير تُطلعُ الأنوارا
تتلاقى الأكبادُ من كُل صوبٍ فوقَها والعيونُ تهمي ادّكارا
مَنْ رآها بكى ومن لم يزرها حَمَّل الريحَ قلبُه تِذكارا
كربلاء!! ستصبحين محجاً وتصيرين كالهواءِ انتشارا
ذكركِ المفجع الأليم سيغدو في البرايا مثلَ الضياءِ اشتهارا
فيكون الهدى لمن رام هدياً وفخاراً لمن يرومُ الفخارا
كُلّما يُذكر الحسينُ شهيداً موكبُ الدهر يُنبت الأحرارا
فيجيءُ الأحرار في الكون بعدي حيثما سرتُ يلثمون الغبارا

وينادون دولةَ الظلم حيدي قد نقلنا عن الحسين الشعارا
فليمت كلُ ظالم مستبدٍّ فإذا لم يمت قتيلاً توارى
ويعودون والكرامةُ مَدّت حول هاماتهم سناءً وغارا
فإذا أُكرهوا وماتوا ليوثاً خَلّدَ الحقُ للأُسود انتصارا
سَمِعَتْ زينبُ مقالَ حسينٍ فأحستْ في مُقلتيها الدوارا
خالتْ الأزرقَ المفضّض سقفاً أمسكتُهُ النجومُ أن ينهارا
خالتْ الأرضَ وهي صمّاءَ حزنٌ حمأً تحتَ رجِلها مَوّارا
ليتني مُتُّ ياحسينُ فلمْ اسمع كَلاماً أرى عَليه احتضارا
فُنيتْ عِترةُ الرسولِ فأنتَ الكوكبُ الفردُ لا يزالُ منارا
مات جدي فانهدَّت الوردةُ الـ زهراءُ حزناً ، وخلَّفتنا صغارا
ومضي الوالدُ العظيمُ شهيداً فاستبدّ الزمانُ والظلُّ جارا
وأخوك الذي فقدناهُ مسموماً فبتنا من الخطوبِ سُكارى
لا تَمُتْ يا حسينُ تفديكَ منّا مُهجاتٌ لم تقرب الأوزارا
فتقيكَ الجفونُ والهُدب نرخيها ونلقي دون المنون ستارا
شقّت الجيبَ زينبٌ وتلتها طاهراتٌ فما تركن إزارا
لا طماتٍ خُدودهنَّ حُزانى ناثراتٍ شعورهنَّ دثارا
فدعاهنَّ لاصطبارٍ حسينٌ فكأنَّ المياه تُطفيء نارا
قال : إن متُّ فالعزاءُ لكنّ اللّه يُعطي من جوده إمطارا
يلبسُ العاقلُ الحكيمُ لباسَ الصبر إن كانتْ الخطوبُ كبارا
إنّ هذه الدنيا سحابةُ صيف ومتى كانت الغيومُ قرارا
حُبّيَ الموتُ يُلبسُ الموتَ ذلاً مثلما يكسفُ الّهيبُ البخارا

نهضة الإمام الحسين وصلح الإمام الحسن عليهما السلام اتفاق أم افتراق ؟

م.د.ثائر عباس هويدي النصراوي •
جامعة الكوفة / كلية التربية

ينابيع

النهضة الحسينية ليست حركة آنية جاءت نتيجة ظروف حدثت في زمن إمامة الإمام الحسين عليه السلام، بل هي ثورة تمتد جذورها إلى أيام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وأخيه الإمام الحسن عليه السلام الذي مهد له وأعطاه المسوغ الشرعي والسياسي للقيام بنهضته، فجسدها عليه السلام بشكل واقعي فاستشهد هو وأصحابه في واقعة الطف في كربلاء .

وقبل تسليط الضوء على دور كل من الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، لابد أن نمر مرورًا سريعًا على هذين الإمامين العظيمين ومعرفة منزلتهما: فهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسيدا شباب أهل الجنة، فقد قال فيهما صلى الله عليه وآله: (ابناي هذان سيدا شباب أهل الجنة)[1]، ثم بين منزلتهما الشرعية لدى الأمة، فقال صلى الله عليه وآله: (ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا)[2]، وقد أجمعت كتب الفريقين على أنهما من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، بقوله تعالى: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) (الأحزاب: ٣٣) وأنهما من القربى الذين جعل الله مودتهم أجر محمد صلى الله عليه وآله على أداء رسالته، بقوله: (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**)(الشورى:٢٣)، وفرض الله لهم حقوقهم على الأمة، بقوله: (**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**)(الأنفال:٤١)، وقوله: (**مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**)(الحشر:٧)، وأنهما من آل ياسين الذين حياهم الله في الذكر الحكيم، فقال: (**سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ**) (الصافات:١٣٠)، وهما من الذين فرض الله على عباده الصلاة والسلام عليهم فقال: (**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) (الأحزاب:٥٦)

فقالوا: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، والحسن والحسين من آل محمد[٣].

فقد ((كانا عليهما السلام وجهين لرسالة واحدة، كل وجه منهما في موضعه منها، وفي زمانه من مراحلها، يكافئ الآخر في النهوض بأعبائها ويوازنه بالتضحية في سبيلها. فالحسن لم يبخل بنفسه، ولم يكن الحسين أسخى منه بها في سبيل الله، وإنما صان نفسه يجندها في جهاد صامت، فلما حان الوقت كانت شهادة كربلاء شهادة حسنية، قبل أن تكون حسينية، لأن الحسن عليه السلام أعطي من البطولة دور الصابر على احتمال المكاره في صورة مستكين قاعد. وكانت شهادة (الطف) حسنيّة أولاً، وحسينية ثانياً، لأن الحسن أنضج نتائجها، ومهد أسبابها.

كان نصر الحسن عليه السلام الدامي موقوفاً على جلو الحقيقة التي جلاها - لأخيه الحسين عليه السلام - بصبره وحكمته، وبجلوها انتصر الحسين عليه السلام نصره العزيز وفتح الله له فتحه المبين.

وكانا عليهما السلام كأنهما متفقان على تصميم الخطة: أن يكون للحسن عليه السلام منها دور الصابر الحكيم، وللحسين دور الثائر الكريم، لتتألف من الدورين خطة كاملة ذات غرض واحد.))[٤].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمامين عليهما السلام لا يحتاجان إلى بيعة من الناس كي تقر إمامتهما، لأنهما منصبان من الله تعالى وبنصوص متواترة من النبي صلى الله عليه وآله كما تقدم.

فبعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام تقدمت الأمصار ببيعة الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة فبايعته الكوفة والبصرة والمدائن

ـ وهذا يعني العراق ـ ثم تلتها الحجاز واليمن وجميع الأمصار إضافة إلى المهاجرين والأنصار، ولم يتخلف عن بيعته إلا معاوية في الشام.

(بعد أن أُخذت البيعة له - افتتح عهده الجديد، بخطابه التاريخيّ البليغ، الذي يستعرض فيه مزايا أهل البيت وحقهم الصريح في الأمر، ثم يصارح الناس فيه بما ينذر به الجوّ المتلبد بالغيوم من مفاجئات وأخطار. فيقول: (وهو بعض خطابه):

(نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله في أمته، ثاني كتاب الله الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره، لا نتظنى تأويله بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عزّ وجل: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ)**، وقال: **(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)**[٥].

وبعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، جاء دور الإمام الحسين عليه السلام ليكمل مسيرة أبيه أمير المؤمنين وأخيه الإمام الحسن عليهما السلام.

فالحركة الحسينية هي امتداد لحركة الخلافة والإمامة الإلهية المتمثلة بالإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام وصولاً إلى الإمام الحسين عليه السلام.

وهنا قد يثير بعضهم إشكالاً مؤداه: كيف تكون النهضة الحسينية امتداد لمسيرة الإمام الحسن عليه السلام من قبله، وخصوصاً ما حصل مع الإمام الحسن عليه السلام والمعاهدة التي أمضاها مع معاوية بن أبي سفيان، فالإمام الحسن عليه السلام عاهد وصالح، والإمام الحسين نهض واستشهد، فكيف يكون أحدهما امتداد للآخر؟.

ويبدو أنّ الكثير من هذه التساؤلات وأمثالها قد انطلقت على خلفية تصوّر غير ناضج ويفتقد للعلمية ومنهج التفسير التاريخي الصحيح، فتصوّر أنّ الأئمة عليهم السلام يمارسون قيادتهم للمجتمع ومواجهة الانحراف بنسق وطريقة واحدة تصوّر خاطئ، لسبب بسيط هو أنّ كلّ إمام منهم يواجه ظروفاً مختلفة تحكم بالضرورة لانتهاج ما يراه الإمام مناسباً لظرفه الخاصّ في إطار الهدف الأساسي الذي يسعى لتحقيقه جميع الأئمة عليهم السلام، تمامًا كما كانت أساليب الدعوة لكل نبي من أنبياء الله عليهم السلام تختلف عن الآخر في الأسلوب، ولكنها جميعًا تتفق في جوهر الدعوة وهدفها. وبالتالي فإنّ هدف الأئمة هو هدف واحد ومنهجهم في العمل السياسي والاجتماعي أيضاً منهج واحد، غاية الأمر أنّ منهج هذا الإمام المعصوم قد يظهر بصورة تبدو للوهلة الأولى مختلفة عن الصورة التي تظهر في منهج الإمام اللاحق أو الآخر، ومردّ هذا الاختلاف الزائف هو استعجال النظرة وتجزئتها وفقدانها للرؤية الاستراتيجية الكليّة التي تطبع عمل وجهاد جميع الأئمة عليهم السلام.

وللإجابة عن هذا الإشكال وغيره نقول: إن الأمر متعلق أولاً بالإمام الحسن عليه السلام والظروف التي كانت تحيط به، والثاني متعلق بالإمام الحسين عليه السلام وصلته بالمعاهدة التي أمضاها الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان.

أما فيما يتعلق بالإمام الحسن عليه السلام

فالملاحظ أن الإمام عليه السلام لم يقر إطلاقاً بخلافة ابن أبي سفيان، فالمعاهدة المعقودة ما هي إلا ثورة، لكنها (ثورة باردة)، فالمتابع لشروط الاتفاق يجد أن هذه الشروط لا يمكن وصفها تنازلاً أو صلحاً بل هي مجرد فض اشتباك مؤقت بين قوتين عسكريتين، كما حدث في فض الاشتباك بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية في واقعة صفين ومسألة التحكيم، ولقد أجاب الإمام الحسن عليه السلام على هذا الإشكال بنفسه حينما سأله أبو سعيد عقيصاً، قال: قلت للحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام يا بن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟ فقال: يا أبا سعيد ألستُ حجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام. قلت: بلى. قال: ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، قلت: بلى. قال: فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذا قعدت، يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية هي علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية أولئك كفّار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل. يا أبا سعيد إذا كنت إمامًا من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة. وان كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي؛ هكذا أنا سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل)[٦].

ويرد الإمام الحسن عليه السلام على هذه الشبهة بموضع آخر فيقول عليه السلام: (والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً، فو الله لئن أُسالمه وأنا عزيز، خير من أن يقتلني وأنا أسيرهُ، أو يَمُنّ عليّ فتكون منّة على بني هاشم إلى آخر الدهر، ومعاوية لا يزال يمُنُّ بها وعَقِبه على الحي منّا والميت)[٧].

الدليل على ما سبق أن نص الاتفاق يؤكد على عدم مناداة الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية بأمير المؤمنين أو الإقرار له بالخلافة الشرعية، لأن هذا الإقرار يتعارض مع اعتقاد الإمام عليه السلام بأنه هو الخليفة الشرعي للرسول صلى الله عليه وآله، لذلك فإن الإمام الحسن عليه السلام لم يدخل ضمن رعايا السلطة الأموية على مدار حياته،واشترط كذلك بعودة الخلافة إليه أو لأخيه الإمام الحسين عليه السلام في حالة وفاته أثناء حكم معاوية، كل هذه العوامل تؤكد على أن الإمام الحسن عليه السلام كان في حالة صراع مع معاوية، والمعاهدة مجرد هدنة، لحين توفر الظروف الملائمة له للقيام بثورته العلنية، فالتنازل كان عن السلطة الدنيوية لا تنازل عن حق في خلافة إلهية، كما أن عدم إقرار الإمام عليه السلام لمعاوية بالخلافة وإمرة المؤمنين، أفقدت الشرعية التي كان يدعيها ابن أبي سفيان، وبذلك نجد أن الإمام عليه السلام رجع إلى المدينة ليمارس عمل الخلافة الإلهية بعيدًا عن التجاذبات السياسية، لأنه أدرك بأنها أفضل طريقة لكشف معاوية وأتباعه وإظهارهم على حقيقتهم التي لا يعرفها العوام من الناس .

أما الجانب الآخر المتعلق بالإمام الحسين عليه السلام فإننا نلاحظ أنه لولا صلح الإمام الحسن عليه السلام ومعاهدته مع معاوية لما استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يكسب الشرعية للقيام بثورته – من وجهة نظر العوام -، وذلك لأن بني أمية وخصوصاً معاوية لم يكونوا

معروفين على حقيقتهم المتمثلة بالفساد والإفساد والانحطاط والقتل والإرهاب وعدم الالتزام الديني والخلقي وعدم تأدية المواثيق والمعاهدات، فلو تم مقاتلة معاوية من قبل الإمام الحسن عليه السلام لكان الصراع حسب اعتقاد العوام - صراع سلطة بين طرفين كلٌ منهما يدعي الحق له، بينما مع الإمام الحسين عليه السلام وبعد أن اكتشف زيف بني أمية اقتنع الجميع بأن الصراع هو صراع بين الحق المتمثل بأئمة أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً الإمام الحسين عليه السلام، والباطل المتمثل بمعاوية ويزيد وأتباعهما هذا أولاً.

ونلاحظ ثانيًا أن معاوية كان حاذقاً وماكرًا يُموِّه الحقائق لحسابه فلو قام الإمام الحسن عليه السلام بالقتال لأصبح الإمام الحسن عليه السلام من الملومين بحجة أنه لم يلتزم بالمواثيق والهدنة التي عقدها مع معاوية، ولكنه عليه السلام من خلال التزامه بالهدنة قد أظهر زيف بني أمية، ولما نقضوا العهود ونكثوها، انكشفوا على حقيقتهم، فعرفهم الناس بأنهم مجرد طلاب سلطة لا طلاب حق، فكان الصلح دفعاً لخصمه نحو الزاوية الحرجة، التي يضيق بها فكر وسلوك معاوية، فما لبث بعد حين إلّا ونقض الصلح وقد تهكم عليه معلناً عن حقيقته، فكان هذا الأمر كاشفاً عن سياسة معاوية وبطلانه، ومؤكّداً حقانيّة الإمام عليه السلام واستقامته وحكمته، وبذلك انتهى دور الإمام الحسن عليه السلام عند هذه المهمة العظيمة التي مهّد بها السبيل إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام. فكان لزامًا عليه السلام أن يقوم بثورته المسلحة لتقويم الاعوجاج في الأمة الإسلامية الذي أحدثته سياسات بني أمية، خصوصاً مع توفر الظروف الملائمة للثورة ونداءات المستضعفين والمتضررين من تلك السياسات.

كذلك فإن الإمام الحسين عليه السلام عندما قام بحركته فإنه كان فيها مطالباً بحقه الذي نصت عليه المعاهدة مع معاوية، إذ لا يحق لابن أبي سفيان أن ينصب خلفاً له مهما كانت الظروف، فإن كان الإمام الحسن عليه السلام موجوداً فالأمر له، وإن مات عليه السلام فالأمر لأخيه الحسين عليه السلام وإن مات الحسين عليه السلام، فالأمر شورى بين المسلمين، فالأمر في كل الأحوال يخرج من يد معاوية لينتقل لأهل البيت عليهم السلام أو شورى بين المسلمين، وهذا ما لم يلتزم به معاوية فنصب ولده (يزيد) لولاية العهد من بعده فأدى هذا التصرف بالإمام الحسين عليه السلام إلى المطالبة بحقه في الخلافة.

من كل مما سبق نجد أنه لولا صلح الإمام الحسن عليه السلام لما استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يقوم بحركته، فالنهضة الحسينية هي امتداد لصلح الإمام الحسن عليه السلام ولا افتراق بين النهجين ■

---

١) الخلاف/الطوسي ج٤ص٧.
٢) غنية النزوع/ابن زهرة الحلبي .نقلا عن:علل الشرايع.
٣) ينظر كتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين ص٩٩.
٤) ينظر:مقدمة كتاب (صلح الحسن) للشيخ راضي آل ياسين /بقلم السيد عبد الحسين شرف الدين.
٥) البحار/المجلسي ج ١٠ ص ٩٩.
٦) علل الشرايع/الشيخ الصدوق ج١ ص٢١١.
٧) الاحتجاج/الشيخ الطبرسي ج٢ ص١٠.

الإمام الحسين عليه السلام في الفكر الغربي

(مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل إلى الأسس وهي من القصص القليلة التي لا أستطيع قراءتها قط من دون أن ينتابني البكاء).

(الكاتبة الإنكليزية/ فريا ستارك..)

(بعد أن شهد مجالس الحسين ومواكب العزاء، قال : (لم يكن هناك أي نوع من الوحشية أو الهمجية، ولم ينعدم الضبط بين الناس فشعرت في تلك اللحظة وخلال مواكب العزاء ومازلت أشعر بأنني توجهت في تلك اللحظة إلى جميع ما هو حسن وممتلئ بالحيوية في الإسلام، وأيقنت بأن الورع الكامن في أولئك الناس والحماسة المتدفقة منهم، بوسعهما أن يهزا العالم هزاً فيما لو وجها توجيهاً صالحاً وانتهجا السبل القويمة ولا غرو فلهؤلاء الناس واقعية فطرية في شؤون الدين)

(الكاتب الإنكليزي/ توماس لايل في كتابه: الإسلام)

(نشبت معركة كربلاء التي قتل فيها الحسين بن علي، وخلفت وراءها فتنة عميقة الأثر، وعرضت الأسرة الأموية في مظهر سيىء.. ولم يكن هناك ما يستطيع أن يحجب آثار السخط العميق في نفوس القسم الأعظم من المسلمين على السلالة الأموية والشك في شرعية ولايتهم)

(العالم الإيطالي.. الدومييلي في كتاب :العلم عند العرب)

ومضات مضيئة من حياة العباس بن الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام في ما قبل طف كربلاء

أ.م.د.عبد الإله العرداوي •
جامعة الكوفة /كلية التربية الأساسية

ينابيع

الحمد لله الذي منّ علينا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين وعرّفنا بمنّه وجوده عليهم، والصلاة والسلام على أفضل خلقه وأشرف بريّته أئمة الهدى وسفن النجاة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وآله الطاهرين، وبعد:

فتاريخ البشرية مليء بالأحداث والتطورات المتتالية، ولو تصفّحناه وبحثنا في طياته عن القدوات الإنسانية والعظماء، لجذبتنا إليه صحائف تفوح منها رائحة المسك. وتهلّ علينا نسائم طيب العنبر.

ومن هذه القدوات الإنسانية، شخصية سجل التاريخ مسيرتها بأحرف من الأنوار الإلهية، والإشراقات الربانية، سعت في دنياها إلى سلوك الطريق نحو الكمال الإنساني، وجلّ حسن الصفات، لم ترضخ إلاّ للواحد الأحد، ولم تنكس رأسها إلاّ خضوعاً وخشوعاً للفرد الصمد، فرفعها ربّها إلى عليين، وأقعدها في مقعد صدق مع أنبيائه وأصفيائه.

تلك الشخصية العظيمة، هي شخصية العباس بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

في كل مرة كنت أقرأ فيها تاريخ أهل البيت عليهم السلام، وسيرة رجالاته، كانت تستوقفني شخصية العباس عليه السلام التي نهلت من ينابيع الإخلاص والإيمان، وتزينت بتاج الشجاعة والشهامة والوفاء والإخلاص ما عجزت الأقلام عن وصفها، وتحيرت العقول في إدراك كنهها، فكانت سيرته ومواقفه في طف كربلاء، وحياته بأكملها تشدني نحو إعادة القراءة مرة بعد أخرى إلى ما لا نهاية له لسيرة قمر بني هاشم ومحاولة سبر أغواره، وكيف بدأت حياته، والمصير الذي آل إليه، وهو مؤمن بقيمه التي آمن بها، وعلى رأسها إيمانه بإمامة أخيه الإمام الحسين عليه السلام وأحقيته وأفضليته.

فلم يتراجع العباس عليه السلام عن الإيمان بقيمه، ولم يهن، بل أعطى وقدم كل ما يستطيع من تضحيات، ويكفيه فخراً أنه كان كبش كتيبة الإمام الحسين عليه السلام، ومجمع عدده وهو في كل ذلك رسم لنا صورة مشرقة تجسّد جميع القيم الإنسانية والإسلامية.

وأمام هذه القيم، وأمام هذا الكم من المؤلفات التي كتبت عنه عليه السلام أجد نفسي صغيراً جداً لأكتب عن جانب من جوانب

حياته المضيئة، لكن حبي لهذه الشخصية العظيمة، وإيماني الكبير بأفعاله ومواقفه، شجعني على كتابة هذه المقالة القصيرة.

أما حياته مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام فدامت إلى حين استشهاده في واقعة الطف، إذ بلغ عمره فيها (٣٤) سنة، وهذه الحقبة من حياته يمكن تقسيمها على مرحلتين، الأولى: مرحلة ما قبل واقعة الطف، والثانية: مرحلة واقعة الطف وما يتصل بها من أحداث.

فأما المرحلة الأولى، وهي ما قبل واقعة الطف:

فبعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام تولى الإمام الحسين عليه السلام أمور الإمامة التي بدأت سنة (٥٠) للهجرة ودامت ما يقرب العشرة أعوام، وهذه المرحلة تضمنت أحداثاً كثيرة، من أهمها:

١ - مخالفة العباس عليه السلام لبيعة يزيد:

كان العباس عليه السلام مطيعاً لأخيه الإمام الحسين عليه السلام وممتثلاً له في تلك الحقبة، إذ أعلن الإمام الحسين عليه السلام مخالفته لتلك البيعة بشدة، وقد كتب كتاباً إلى معاوية يذكر فيه عيوب يزيد وبدعه في الدين، وما فعله بشيعة أمير المؤمنين عليه السلام من سفك للدماء، وهتك للحرمات، وقال: ((وأن أخذك الناس ببيعة ابنك يزيد، وهو غلام حدث يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب، فقد خسرت نفسك، وبترت دينك))[1].

٢ - حماية العباس عليه السلام ومرافقيه للإمام الحسين عليه السلام في مقر الإمارة بالمدينة:

مات معاوية في النصف من رجب سنة (٦٠) للهجرة، وحلّ يزيد محله على كرسي الخلافة، ولم يلتزم بوصايا أبيه، وكتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - وكان والياً على المدينة من قبل معاوية - أن يأخذ البيعة له، ولا يرخّص له في التأخير عن ذلك، وقال في كتابه: ((إن أبى عليك فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه)).

أحضر الوليد مروان بن الحكم، واستشاره في أمر الإمام الحسين عليه السلام فقال: ((إنه لا يقبل، ولو كنت مكانك ضربت عنقه)) فقال الوليد: ((يا ليتني لم أكن شيئاً مذكورًا)) ثم بعث الوليد إلى الإمام الحسين عليه السلام فجاء في ثلاثين من أهل بيته ومواليه[2]

وشيعته شاكين بالسلاح ليكونوا على الباب فيمنعونه إذا علا صوته[٣] وبيده قضيب رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي رواية أخرى، أن الإمام الحسين عليه السلام دعا تسعة عشر رجلاً من أهل بيته، وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: ((إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت ولست آمناً من أن يكلفني فيه أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون عليّ، فإذا دخلت عليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا لتمنعوه عني)).

فلما دخل الإمام الحسين عليه السلام قرأ الوليد الكتاب، فقال الإمام الحسين عليه السلام: ((ما كنت أبايع ليزيد)) فقال مروان: ((بايع لأمير المؤمنين)) فقال الإمام الحسين عليه السلام: ((كذبت، ويلك على المؤمنين من أمرة عليهم)) فقام مروان وجرد سيفه، وقال: ((مر سيافك أن يضرب عنقه قبل أن يخرج من الدار، ودمه في عنقي)) وارتفعت الصيحة فهجم تسعة عشر رجلاً من أهل بيته عليهم السلام، وقد انتضوا خناجرهم فخرج الإمام الحسين عليه السلام معهم[٤] وهنالك رواية أخرى يبرز فيها ثبات العباس عليه السلام واتباعه رأي الإمام الحسين عليه السلام[٥].

٣- العباس عليه السلام في طليعة موكب الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة:

عَلِمَ الإمام الحسين عليه السلام موقف يزيد، وأنه يريد مقتله إن لم يبايع، لذلك عزم الخروج في آناء الليل من المدينة قاصداً مكة، فاجتمع مع أهله وشيعته خفية يدعوهم إلى مرافقته، فتباينت مواقفهم، فمنهم من اعتذر وأذن له الإمام الحسين عليه السلام بالبقاء، ومنهم من اعتذر بأعذار واهية وسار مع ركب الشيطان، بل إنه دعا الإمام عليه السلام للعدول عن مسيره، وأما البقية فقد خرج معه، وهم أهله وأقرباؤه وجمع من بني هاشم وخلص أصحابه، وفي طليعة هؤلاء الأهل العباس عليه السلام الذي اصطحب معه أهله وأخوته[٦].

قال المرحوم الدربندي[٧] في رواية، وهي: روى عبد الله بن سنان الكوفي عن أبيه عن جده، أنه قال: خرجت بكتاب من أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام وهو يومئذ بالمدينة، فأتيته وقرأه فعرف معناه، فقال: أنظرني ثلاثة أيام. فبقيت في المدينة ثم تبعته إلى أن صار عزمه بالتوجه إلى العراق، قلت في نفسي: أمضي وأنظر إلى ملك الحجاز، كيف يركب، وكيف جلالته وشأنه، فأتيت إلى باب داره فرأيت الخيل مسرجة والرجال واقفين والإمام الحسين عليه السلام جالس على كرسي وبنو هاشم حافون به، وهو بينهم كأنه البدر ليلة تمامه وكماله، ورأيت نحواً من أربعين محملاً وقد زينت المحامل بملابس الحرير والديباج.

قال: فعند ذلك أمر الإمام الحسين عليه السلام بني هاشم أن يركبوا محارمهم على المحامل، فبينما أنا أنظر، وإذا بشاب قد خرج من دار الإمام الحسين عليه السلام، وهو طويل القامة وعلى خده علامة، ووجهه كالقمر الطالع، وهو يقول: تنحوا يا بني هاشم، وإذا بامرأتين قد خرجتا من الدار، وهما تجران أذيالهما على الأرض حياءً من الناس وقد حفّت بهما إماؤهما، فتقدم ذلك الشاب إلى محمل من المحامل، وجثى على ركبتيه، وأخذ بعضديهما وأركبهما المحمل.

فسألت بعض الناس عنهما، فقيل: أما أحدهما فزينب والأخرى: أم كلثوم بنتا أمير المؤمنين عليه السلام، وقلت: ومن هذا الشاب، فقيل لي: هو قمر بني هاشم

العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قال: ثم اركبوا بقية الحرم والأطفال على المحامل، فلما تكاملوا نادى الإمام الحسين عليه السلام: أين أخي؟ أين كبش كتيبتي؟ أين قمر بن هاشم؟ فأجابه العباس عليه السلام قائلاً: لبيك لبيك، فقال له الإمام عليه السلام: قدم لي يا أخي جوادي، فأتى العباس عليه السلام بالجواد، وقد حفّت به بنو هاشم، فأخذ العباس عليه السلام بركاب الفرس حتى ركب الإمام عليه السلام ثم ركب بنو هاشم، وركب العباس عليه السلام وحمل الراية أمام الإمام الحسين عليه السلام، قال: فصاح أهل المدينة صيحة شديدة، وعلت أصوات بني هاشم بالبكاء والنحيب، وقلن: الوداع الوداع، الفراق الفراق، فقال العباس عليه السلام: إي والله هذا يوم الفراق والملتقى يوم القيامة، ثم ساروا قاصدين الكوفة، فسرت معهم حتى وصلنا كربلاء. عرف أهل الكوفة خبر الإمام الحسين عليه السلام وامتناعه عن بيعة يزيد، وخروجه إلى مكة فأرسلوا إليه الكتب يدعونه بالتوجه إلى الكوفة، وبعد توقف في مكة دام أربعة أشهر وخمسة أيام، توجه الإمام الحسين عليه السلام بأهله وأصحابه إلى الكوفة في يوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية)، ودخل كربلاء في اليوم الثاني من محرم عام (٦١) للهجرة، وبقي فيها حتى يوم استشهاده، ومن كان معه من أهله وأصحابه يوم عاشوراء.

المرحلة الثانية: العباس عليه السلام في واقعة الطف وبطولاته واستشهاده:

كان دخول العباس عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام كربلاء في الثاني من محرم واستشهاده يوم العاشر منه، وعليه يكون العباس عليه السلام في أرض كربلاء ثمانية أيام قضاها جنب أخيه الإمام الحسين ع، لا يردّ له قولاً، ولا يعصيه في أمر، بذل خلالها الغالي والنفيس، والتضحيات الجليلة لحين استشهاده في يوم عاشوراء، ولعلنا في هذا المقام نحيل القارئ إلى الكتب الكثيرة التي كتبت عن واقعة الطف من كتب التاريخ والمقاتل وغيرها، وقد فصّلت هذه الكتب في بطولات العباس عليه السلام واستشهاده، وعليه يمكن الرجوع إليها، على أننا لا يعني عدم ذكرنا لبطولاته واستشهاده بخس حق هذه الشخصية العظيمة في مقامنا هذا، وإنما نحن نسأل الله أن يقيل عثرة قلمنا في عدم الكتابة للسبب الأنف الذكر، والله ولينا وحسبنا، ومنه السداد والتوفيق ■

---

١) ينظر: مقتل الحسين (المقرم): ١٣٩ نقلاً عن رجال الكشي: ٣٢ طبعة الهند.

٢) ينظر: بحار الأنوار: ٣٢٤/٤٤، واللهوف: علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ) آنوار الهدى، قم، ط١، ١٤١٧: ٢٢.

٣) مقتل الحسين (الخوارزمي): ٢٦٢ - ٢٦٣.

٤) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ٨٨/٤.

٥) ينظر: الكامل في التاريخ: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعرف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ) دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م: ٢٦٣/٣ - ٢٦٤، وتاريخ الطبري: ٢٥١/٤، ونفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم، الشيخ عباس القمي، مطبعة شريعت، قم، ط١، ١٤٢١هـ: ٦٤، وبحار الأنوار: ٣٢٤/٤٤ نقلاً عن إرشاد المفيد، ومعالي السبطين: ٢٠٣/١.

٦) ينظر: بطل النهضة الحسينية: ١١٦.

٧) أسرار الشهادة: ٦٢٧/٢ - ٦٢٩: نقلاً عن معالي السبطين: ٢٢٠/١ - ٢٢١.

الأمن النفسي لدى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

أ.م.د. نجم عبد الله الموسوي •
كلية التربية/جامعة ميسان

ينابيع

إن الحاجة للأمن النفسي من الحاجات الضرورية في حياة الإنسان، فهي تحتل المرحلة الثانية في هرم حاجات (ماسلو)(*) وتأتي بعد الحاجات التي تعمل على بقاء الإنسان على قيد الحياة، فهي بلا شك ينشدها الإنسان في كل مراحل حياته وفقدانها يؤدي إلى شعور الفرد بعدم الاطمئنان والاستقرار والقلق المستمر فضلاً عن الأضرار النفسية التي تترك آثاراً سلبية على شخصية الفرد.

فالأمن النفسي حاجة ملحة ذات ماضي وحاضر ومستقبل وجدت مع وجود الإنسان على هذه الأرض، فإن الإنسان يريد الأمان النفسي الآن ويطمح إليه في المستقبل.

وقد تنبه المتخصصون في علم النفس إلى أهمية هذه الحاجة في حياة الإنسان وفي كل الأوقات والأزمنة، ويرى المتخصصون في علم النفس العسكري (الحربي) أنها حاجة ضرورية للمقاتلين من حيث رفع الروح المعنوية لديهم وتحفيز قدراتهم القتالية ومحاربة الدعايات والإشاعات الضارة ومقاومة أثر الحرب النفسية من قبل الأعداء والتغلب على القلق والتوتر والضيق والحرج في نفوس المقاتلين.

إذ يتفق التربويون والنفسيون والمتخصصون في العلوم العسكرية على أن عدم الشعور بالأمن النفسي والاستقرار ونبذ القلق يعد مشكلة ذات أهمية كبيرة في ساحة المعركة، ومما يؤكد أهمية هذه المشكلة ما تتخذه المؤسسات العسكرية والقائمون عليها من تدابير وإجراءات تحاول الحد من ظاهرة القلق النفسي لدى المقاتل وتحاول رفع معنوياته قدر المستطاع.

فإن انعدام الشعور بالأمن النفسي والاستقرار يجعل المقاتل يجد صعوبة في مواجهة الأعداء والتصدي لمشكلات وصعوبات المعركة، حيث إنه في استجاباته للموقف القتالي يتداخل قلقه وصراعه وإحباطه مع الفشل الذي يتوقع حصوله.

وتعد مشكلة ضعف الأمن النفسي من أهم المشكلات التي تعاني منها المؤسسة العسكرية، وذلك لما لها من تأثير سلبي على حياة المقاتلين النفسية

مقام رؤوس شهداء كربلاء في دمشق ١٩٧٠

وسبباً في كثير من إخفاقاتهم في المعارك والحروب.

وبعد هذا التقديم البسيط جاءت هذه السطور لتسلط الضوء على الأمن النفسي لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف.. وسنجيب على السؤال الآتي:

هل أن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كانوا يشعرون بالأمن النفسي قبل وأثناء المعركة وما دور الأمام الحسين عليه السلام في هذا الصدد؟.

إن القارئ والسامع لقصة واقعة الطف كاملة يرى ويسمع ويفهم أن هناك حالات واضحة وبينة صدرت عن أصحاب الحسين عليه السلام تظهر مدى الكياسة والرزانة ورجاحة العقل والاطمئنان والاستقرار والأمن النفسي والبدني لهم.

وإن الحالة النفسية التي عاشها أصحاب الإمام الحسين عليه السلام تنعكس على تصرفاتهم وحركاتهم وسكناتهم وعلى أدائهم وأقوالهم وأفعالهم وكل ما صدر عنهم، فكلما كان المقاتل مطمئنًا وهادئًا ومستقرًا أدى ذلك إلى ارتفاع روحه المعنوية في القتال وتحسن أدائه العسكري، وتحفز إلى ملاقاة الأعداء.

والسؤال الذي يُطرح هنا: ما صيغ الروح المعنوية والأمن النفسي لدى أصحابه (رضوان الله عليهم) في واقعة الطف؟.

والجواب كما يأتي:

١- إن الإمام الحسين عليه السلام حرص حرصاً شديداً على أن يكون الخروج

معه نابعاً عن عقيدة واقتناع شخصي تام وإرادة وثبات عاليين، الأمر الذي سوف يشكل دافعاً قوياً للتضحية والفداء وحافزاً نحو القوة والعزم، فهو عليه السلام في دعوته يعرض المشاركة معه على الآخرين ولكن يترك الخيار لهم في الموافقة أو عدمها والشواهد التاريخية كثيرة في هذا المجال كما ترويها كتب المقاتل أو من أرخ لحياة الحسين عليه السلام أو أصحابه رضي الله عنهم.

٢- إن الإمام الحسين عليه السلام سعى دائماً إلى أن يبين النتيجة الحتمية والنهائية لخروجه في معركته الإصلاحية، حيث أوضح عليه السلام في أقواله وأفعاله استحالة النصر العسكري وبين في أكثر من موقع[١] أن الشهادة هي التحصيل الحاصل له ولأهل بيته ولأصحابه، فكل من تبع الحسين عليه السلام يعلم علم اليقين بهذا المصير المحتوم.

٣- إن الإمام الحسين عليه السلام مع اطمئنانه النفسي لأصحابه ومعرفته مدى حبهم له واستعدادهم للتضحية من أجل الدين ومن أجله، إلا أنه أعطى لكل فرد حرية المشاركة في القتال وذكّر أصحابه بأنهم ليسوا مطلوبين من قبل الأمويين بل إنه المطلوب للقتل، وأعطاهم الحرية في المضي والذهاب من غير أية تبعات قانونية بحقهم مثلما يفعل القادة العسكريون من إجبار المقاتلين على القتال، وهو ما يضعف إرادتهم وقوتهم للقتال واليأس من النصر.

إذ قال عليه السلام لأصحابه (هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وتفرقوا في سواده، فإن القوم إنما يطلبونني ، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري)[٢].

وتصرّف الإمام الحسين عليه السلام هنا كان بمثابة الاختبار الواقعي الموضوعي، وكانت نتيجة الاختبار أنْ وجدهم مستأنسين بالشهادة والموت بين يديه عليه السلام.

وما قاله الإمام الحسين عليه السلام لأخته زينب عليها السلام بحقهم خير وصف، وهو ((أما وَاللّه ! لَقَدْ نَهَرْتُهُمْ وَبَلَوْتُهُمْ وَلَيْسَ فيهِمْ [إلاّ] الأَشْوَسَ الأَقْعَسَ يَسْتَأْنِسُونَ بِالْمَنِيَّةِ دُوني اسْتِئْناسَ الطِّفْلِ بِلَبَنِ أُمِّه))[٣].

٤- لم يكن غائباً عن ذهن الإمام الحسين عليه السلام أنه لا بد من أن يوضح غايته وقصده من الخروج ضد طاغية عصره، وأن يعزز ويدعم الروح العالية لدى أصحابه عن طريق بيان الجائزة النهائية التي يقاتلون من أجلها وهي الشهادة الحقيقية، فضلاً عن أنه وكما تشير العديد من الروايات المذكورة أنه أرى كل شخص من أصحابه رضي الله عنهم مصرعه ومقتله من جهة، وأراه مكانته في الجنة من جهة أخرى وأكدت هذه الروايات أنه بَيَّنها فيما بين أصبعين من أصابعه الشريفة.

إذ قال عليه السلام في خطبته التي ألقاها الإمام في مكة قبل وأثناء تحركه نحو العراق، والتي يفهم قارئها وسامعها أن الإمام في تحركه من مكة إلى كربلاء، كان بقصد القتل والاستشهاد وكان ينعى نفسه دائماً، وأن غايته كانت السامية وليس له غاية أو مبرر أو هدف آخر

وهو الذي قال: ((**خُطَّ الموت على وُلْد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يُوسُف وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تُقطعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سُغباً، لا محيص عن يوم خُط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبرُ على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحُمته بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعدُهُ، من كان باذلاً فينا مُهجتهُ ومُوَطناً على لقاء الله نفسُه فليرحل معنا فإنني راحل مصبحاً إن شاء الله**))[٤].

٥- إن الحسين عليه السلام لم يعِش كقائد معزول عن جنوده يمتاز عنهم بمنصبه، بل كان قائداً يعتاش وسط جنوده حريصاً على اللقاء مع أصحابه رضي الله عنهم باستمرار بشكل فردي وجماعي، وهذا ما تجلى واضحاً حتى في الليلة الأخيرة من عمرهم الدنيوي وفي أثناء المعركة، ولا بد أن نوضح أن وجود القائد مع جنوده من معززات الروح القتالية والمعنوية لدى الجنود في ساحة المعركة وعنصراً من شعورهم أن القائد هو فرد مثلهم سيلاقي ما يلاقونه من المصير نفسه.

٦- إن وجود الحسين عليه السلام بشخصه كان عنواناً ودعماً عسكرياً وقوة شخصية وثباتًا شديدًا لأصحابه كافة، فهو بقية النبوّة ومتبع منهج الإصلاح والسائر على نهج جده محمد صلى الله عليه وآله، فأصحابه رضي الله عنهم كلهم عرفوا مدى رمزية الحسين عليه السلام ومدى صدق منهجه ومطلبه وهدفه السامي، هذا ما أعطى دافعاً لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ممن قاتل معه وفي أغلب معاركه للمشاركة في معركة الطف ووقوعهم شهداء بين يديه، إيماناً منهم بعدالة الحسين عليه السلام وعدالة القضية التي خرج من أجلها وأنه جبهة الحق وأن الأمويين هم جبهة الباطل والضلال والظلم.

صور الأمن النفسي لدى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام:

الاستقرار النفسي الذي كان مزروعًا في قلب أصحاب الحسين عليه السلام تجلى في صور عديدة أوضحتها قصص الشهادة التي سطرها الأصحاب رضي الله عنهم والتي منها:

١. الإصرار الذي كان يتدفق في جوانب أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في المشاركة الفاعلة في المعركة وبمحض الإرادة دون أي إكراه أو إجبار أو تهديد، بل كان بقناعة قلبية ونفسية صادقة، وهذا ما دفعهم للتنافس فيما بينهم في القتال والدخول إلى ساحة المعركة.

٢. الصراع نحو الشهادة والقتل بين يدي الحسين عليه السلام وهذا يتجلى في الجدال الجميل الذي دار بين أصحاب الحسين عليه السلام وبين بني هاشم فيمن يبدأ القتال، وهذا ينم عن قناعة وافية متكاملة وعن ذوبان حقيقي في ذات الله والدين وفي شخص الإمام الحسين عليه السلام.

٣.الانشراح والاستبشار والفرح والسرور الذي كان واضحاً على وجوههم ومحياهم وفي كل تصرفاتهم وما حدث في ليلة العاشر خير دليل على ذلك من فرح وسرور دار بين الأصحاب رضي الله عنهم

الأمر الذي جعل برُير رضي الله عنه يضاحك عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن: يا بُرير أتضحك ؟.. ما هذه ساعة باطل، فقال برير : ((لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل كهلًا ولا شابًا ، وإنما أفعل ذلك استبشارًا بما نصير إليه ، فو الله ما هو إلا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم ساعة ثم نعانق الحور العين))[٥].

وإن الاطمئنان والأمن النفسي بما سيلاقيه بريراً (وهو أنموذج من الأصحاب) جعله مستبشراً ضاحكاً فرحاً وانعكس على شخصيته ونفسيته فكانت راضية مرضية مكتسبة لقوة وإرادة وعزيمة بل تعدى ذلك إلى الشوق إلى ساعة القتال والشهادة.

٤. الشجاعة التامة الفائقة في ساحة المعركة، ففي علم النفس العسكري (الحربي) إن المقاتل القلق والمتوتر لا يستطيع أن يصمد بوجه العدو ويقتل سريعاً، عكس أصحاب الحسين عليه السلام فكل واحد منهم أعطى قصة للشهادة وللشجاعة في آن واحد، مع علمهم بمصيرهم ومصرعهم، وما يذكره أرباب المقاتل عن صمودهم خير دليل على ذلك وكل شخص منهم يقتل مجموعة حتى يستشهد.

٥. كل شخص من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ممن يبقى له رمق في الحياة يوصي الآخرين بالحسين عليه السلام خيراً، تاركين قرة أعينهم وفلذات أكبادهم ونسائهم وأموالهم إلى جانب من غير وصية بهم، وإن أوصوا بأهلهم فيكونوا بعد الحسين عليه السلام لاعتقادهم به وبإمامته وعدالته ومشروعية قضيته التي خرج وخرجوا معه لأجلها، فالحسين عليه السلام أحبُّ إليهم من أنفسهم وأهلهم وأموالهم.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن هناك شواهد كثيرة وعديدة لا يسع المجال لذكرها يمكن لمن يريد الاستزادة الرجوع إلى الكتب التي تناولت مقتل الحسين الإمام عليه السلام، والحمد لله أولاً وآخراً.

المصادر:

(*)أبراهام ماسلو، عالم نفس أمريكي، اشتهر بنظريته تدرج الحاجات.

١) في أول بيان للإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من المدينة المنورة ، قال : (أما بعد ، فإنه من لحق بي منكم استشهد ، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام)البحار ج٤٢ص٨١.

٢) الأمالي/الشيخ الصدوق ص٢٢٠.

٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١ : ٢٥١.

٤) بحار الأنوار/ج٤٤ ص٣٦٦.

٥) بحار الأنوار/ج٤٥ ص١.

أشعار في الطف

السوسي❖ من شعره في الحسين عليه السلام:

لهفي على السبط وما ناله ... قد مات عطشانًا بكرب الظما
لهفي لمن نكس عن سرجه ... ليس من الناس له من حمى
لهفي على بدر الهدى إذ علا ... في رمحه يحكيه بدر الدّجى
لهفي على النسوة إذ برّزت ... تساق سوقًا بالعنا والجفا
لهفي على تلك الوجوه التي ... أبرزن بعد الصون بين الملا
لهفي على ذاك العذار الذي ... علاه بالطف تراب العزا
لهفي على ذاك القوام الذي ... حناه بالطف سيوف العدا

وله أيضا:

كم دموع ممزوجة بدماء ... سكبتها العيون في كربلاء
لست أنساه بالطفوف غريبًا ... مفردا بين صحبه بالعراء
وكأني به وقد لحظ النسوان ... وإن يهتكن مثل هتك الإماء

وله أيضا:

لا عذر للشيعي يرقى دمعه ... ودم الحسين بكربلاء أريقا
يا يوم عاشورا لقد خلفتني ... ما عشت في بحر الهموم غريقا
فيك استبيح حريم آل محمد ... وتمزقت أسبابهم تمزيقا
أأذوق ري الماء وابن محمد ... لم يرو حتى للمنون أذيقا

*** الأمير محمد بن عبد الله السوسي**

الأمير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد السوسي توفي في حدود سنة ٣٧٠ هـ ودفن بحلب. كان فاضلًا أديبًا كاتبًا بحلب وسافر إلى فارس ثم عاد إلى محله.

ذكره ابن شهر اشوب في معالم العلماء في شعراء أهل البيت المجاهرين..

دوافع النهضة الحسينية

سكينة الربيعي
كاتبة إسلامية

ينابيع لم تحظَ حركة في العالم ما حظيت به نهضة الإمام الحسين عليه السلام من البقاء والخلود، حيث إنّها تركت فاجعة ومصيبة لم تستطع الأيام والسنون محوها كما لم يستطع طغاة العالم إخماد حرارتها بالرغم من محاولاتهم في سبيل إخمادها.

إنّها نهضة ليست كأيّ نهضة، وإنما لها جانب غيبي تاريخي أبدي بدءاً من حيث أشرقت أنوار الوجود الحسيني، وستبقى مشعلاً متوقدًا حتى ظهور الحجة عليه السلام.

فعندما ولد الحسين عليه السلام بكاه جده المصطفى صلى الله عليه وآله وهو يذكر تفاصيل مصيبته الأبدية، وفاجعته الأليمة.

وبالطبع فإنّ نهضة كهذه لا بد أن يكون لها أهداف عظيمة تضاهي عظمتها، وتحكي سر شموخها، وتروي لحالك أيام الظلمة والجبابرة أسطورة العزة والكرامة والإباء.

فالحسين رمز الإباء؛ لأنه بدمه الطاهر الزكي كتب أنشودة الجرح حين يسمو بألمه، كما روى قصة العشق الذي يخلد بعد عناء الكبرياء.

إذن مثل هذه النهضة لا بد وأن يكون لها أهداف ودوافع تجعلها تخلد وتتفجر في أعماق الوجود لتصرخ بكرامتها، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو ما هي هذه الدوافع التي دعت الإمام الحسين عليه السلام إلى الخروج والتضحية بكل غالٍ ونفيس؟

نستطيع القول إن الأسباب والدوافع التي دعت الإمام الحسين عليه السلام إلى الخروج تقسم إلى قسمين رئيسين؛ منهما تتفرع أسباب ودوافع أخرى.

فإذا راجعنا تاريخ نهضة الإمام الحسين عليه السلام وطالعنا أسبابها ودوافعها نجدها تتمثل بعدة أمور:

١ - أسباب ظاهرية:

وهي الدوافع التي يذكرها المؤرخون في كتب السير والمقاتل، حيث إنهم ذكروا أن الإمام الحسين عليه السلام

انطلق بحركته بسبب حدوث بعض القضايا، منها:

أ- البيعة ليزيد: وهو الدافع الأول لخروج الإمام الحسين عليه السلام، وهذه القضية تعدّ من القضايا الأساسية في النهضة الحسينية، فالإمام الحسين عليه السلام رفض أن يبايع طاغية كيزيد لا يمكن أن يمثل حقيقة الإسلام وجوهره، بل هو شارب للخمر معلن للفسوق بعيد عن الإسلام بكل معنى البعد.

ويذكر المؤرخون عدة مواقف للإمام الحسين عليه السلام يجسد خلالها رفضه لمبايعة يزيد، سواء في حياة معاوية أو بعد مماته، وكما يروي ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: (كتب معاوية إلى الحسين بن علي: أما بعد؛ فقد انتهت إليَّ فيك أمور لم أكن أظنك بها رغبة بك عنها، وإن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك واتقِّ الله، ولا تردن هذه الأمة في فتنة، وانظر نفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)[1].

هكذا يريد معاوية من الحسين عليه السلام أن يبايع ابنه الفاسق الفاجر، فكيف أجابه الحسين عليه السلام؟

لقد أجابه بجواب يحمل روح الحسين الشامخة التي لا تطأطئ لمثل معاوية ويزيد وإن سالت دماؤه، فقد أجابه بكتاب طويل ضمّنه جرائم معاوية من قتله للصالحين، وفسقه وفجوره، وبعده عن الإسلام، نقتطف منه قوله عليه السلام: (وقلت فيما قلت: لا ترد هذه الأمة

في فتنة، وإني لا أعلم لهم فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك، ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنه قربة إلى ربي، وإن لم أفعل فأستغفر الله لديني وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى. وقلت فيما قلت: متى تكدني أكدك، فكدني يا معاوية فيما بدا لك، فلعمري لقديماً يكاد الصالحون، وإني لأرجو أن لا تضر إلا نفسك ولا تمحق إلا عملك، فكدني ما بدا لك واتقِّ الله يا معاوية، واعلم أن لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبير إلا أحصاها، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنّة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبياً يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا وقد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية والسلام)[٢].

فهذه الوثيقة التاريخية والرسالة الحسينية تعلن عن جانب من الأسباب التي دعت الحسين عليه السلام إلى الخروج على يزيد، فهذا الرفض بدأ من زمن معاوية، واستمرّ إلى ما بعد موته، فبعد أن ذهب إلى الجحيم وتولّى خلافة المسلمين ابنه يزيد الذي كان معروفاً بالفسق والفجور، استعجل يزيد بأخذ البيعة من المسلمين رغماً عليهم وخصوصاً من الشخصيات المهمة في المدينة المنورة، فرفض الإمام الحسين عليه السلام وبقوة مبايعة يزيد، وقال مخاطباً والي المدينة عندما دعاه إلى بيعة يزيد:

(أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل نفس، معلن بالفسوق، فمثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة)[٣].

فإصرار الحسين عليه السلام على عدم البيعة وتمسكه بموقفه الرافض ليزيد هو أحد الدوافع الظاهرية لنهضته الخالدة.

ب- دعوة أهل الكوفة للحسين عليه السلام:

والدافع الظاهري الآخر للنهضة الحسينية هو مكاتبة أهل الكوفة ودعوتهم للحسين عليه السلام من أجل إنقاذهم من ذل يزيد وعبيد الله والأمويين كافة؛ فقد كاتبه أشرافهم بعد أن علموا نبأ خروجه من المدينة إلى مكة رافضاً بيعة يزيد، وكانت كتبهم قد اجتمعت عنده وتكاثرت حتى بلغت اثني عشر ألف كتاب كما تذكر المصادر[٤]؛ فقد اجتمع الشيعة في منزل سليمان بن صرد وكتبوا للحسين عليه السلام: (بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة.

سلام عليك؛ فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة، فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها،

فبعداً له كما بعدت ثمود.

إنه ليس علينا إمـام، فاقبل لعل الله أن يجمعنا بـك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنـا أنك قد أقبلـت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك)[٥].

وقـد كانـت هـذه الرسـالة فاتحة الرسـائل والكتـب التي تلقاهـا الإمام الحسين عليه السلام، ولم تقتصر هذه الكتب على وجوه الشيعة، وإنما كتب له حتى الذين لم يعرفـوا بولائهم لأهـل البيت عليهم السلام، وإنما كانوا من المحسـوبين على الخط الآخـر المعادي، ومن هؤلاء شـبث بن ربعـي، وحجـار بن أبجـر، ويزيد بن الحارث، وعـزرة بن قيس، وعمرو بن الحجـاج الزبيـدي، ومحمد بـن عمير التميمـي، وقـد كتبوا: (أمـا بعد، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وطمت الحمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجندة، والسلام عليك)[٦].

فأجابهم الحسين عليه السلام في رسالة جاء فيهـا: (... وقد بعثتُ إليكـم أخي وابن عمـي، وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليَّ أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليَّ به رسلكم، وقرأتُ في كتبكم أقدم عليكـم وشـيكاً إن شـاء الله، فلعمري مـا الإمام إلا العامـل بالكتاب، والآخذ بالقسـط، والدائن بالحـق، والحابس نفسـه علـى ذات الله، والسـلام)[٧].

٢ - الدوافع الباطنيـة والحقيقية للثورة الحسينية:

يقول الإمام الحسين عليه السلام في مقولته الشهيرة: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسـداً، ولا ظالماً، وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح فـي أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهـى عن المنكر، وأسـير بسـيرة جدي وأبي علي بن أبي طالـب، فمن قبلني بقبـول الحق فالله أولى بالحق، ومـن ردَّ عليَّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين)[٨].

هـذا النـص الشـريف يجسّـد كل أهداف ودوافع النهضة الحسـينية حين يلخصها بأمور، وهي:

أ- إنـي لم أخـرج أشـراً ولا بطراً، ولا مفسـداً، ولا ظالماً، وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح...

هنا الإمام الحسين عليه السلام يريد أن يؤكد للأمة أن خروجه على طاغية عصره إنما كان لأجل الإصـلاح؛ لأنه رأى أن الأمة الإسـلامية يدبّ فيها الخدر والخمول، ويحكمهـا بنو أميـة الذيـن يريدون أن يغيـروا حقيقة الإسـلام ويمحوا اسـم نبيه صلى الله عليه وآله، فهم ألدُّ أعداء الإسـلام وأشدُّ الناس عليـه حقداً، ولنبيه وآله حسـداً وعـداءً، وكما يصرح معاويـة كما ينقل ابن أبي الحديد:

(إن معاوية سمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إلـه إلا الله، فقالهـا ثلاثاً، فقال: أشـهد أن محمداً رسول الله، فقال: لله أبوك يـا بن عبد الله، لقـد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسـك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين)[٩].

فهـذا النـص يكشـف عـن مقدار

الحسد والحقد الذي يحمله معاوية لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهو خير دلالة على كفره وإلحاده، أما يزيد فقد كان مستهتراً ومستهيناً بكل قيم الإسلام وثوابته متظاهراً بذلك؛ ففي السنة الأولى من حكمه قتل آل الرسول صلى الله عليه وآله، ومثّل بهم وسباهم، وفي السنة الثانية أرسل مسلم بن عقبة وأباح المدينة ثلاثة أيام، وكان من وصيته لمسلم بن عقبة: (فإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً، فما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند)[١٠].

إضافة إلى المجون والفجور الذي كان عليه يزيد، واستهانته بقيم الإسلام وشريعته، فقد كان يشرب الخمر ويلعب بالكلاب، وكما ورد في الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام: (ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل نفس، معلن بالفسوق، فمثلي لا يبايع مثله...)[١١].

فقد واجه الحسين عليه السلام مثل هذا الواقع، فرأى الأمة ساكتة خانعة مستسلمة للظلم والفساد والانقياد الأعمى لطاغية فاجر مثل يزيد، فأراد بخروجه أن يؤكد للأمة أن السكوت على هكذا واقع هو جريمة كبرى لا ينبغي السكوت عليها، فصرخ من أجل الحق، وقال: (مثلي لا يبايع مثله)، فلم يرضَ بالسكوت والخنوع، وإنما صرخ من أجل إظهار وإبراز حقيقة هذا الخليفة الفاجر الظالم، وتحريك الأمة وإخراجها من قالب الصمت؛ لأجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل المتمثل بيزيد.

فأعلن خروجه ولم يبالِ بالموت، ولا بالقتل، ولا بالمصائب؛ لأن هدفه كان أبعد وأسمى من كل الدنيا، فقال بقوته العلوية وعزته الفاطمية وإبائه الحسيني: (لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً).

لقد آثر الموت على الحياة في ظل الظلم، وتحت خيمة الظالمين؛ لأنه رأى السعادة في التحدي والتضحية وتغيير الواقع الفاسد وإخراج الأمة من واقعها المرير، وتحريك ضميرها الميت بدمه، وإصلاحها باستشهاده.

ب- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفرائض الإسلامية الهامة التي حثَّ عليها الإسلام، قال تعالى: (**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) (آل عمران: ١٠٤).

وقال تعالى: (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**) (التوبة:٧١).

فهذه الفريضة الإسلامية العظيمة كانت عاملاً كبيراً ودافعاً عظيماً للإمام الحسين عليه السلام في حركته وخروجه؛ باعتبار أنها كانت شبه معطلة بالرغم من أهميتها وشدة تأكيد الإسلام وحرصه على إقامتها، فهي العامل الأهم في النهضة الحسينية، وقد أكّد الإمام الحسين عليه السلام على هذه الحقيقة في الكثير من بياناته، فقد صرّح أنه لم يخرج إلا

من أجل إقامة هذه الشعيرة العظيمة؛ فقد قال لأخيه محمد بن الحنفية في وصيته: (أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)، وقال أيضاً في خطبته: (أما بعد، فقد علمتم أن رسول الله ﷺ قد قال في حياته: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)[١٢].

يقول الشهيد مطهري: (وعلى هذا الأساس فإن قيمة قيام الإمام عليه السلام استناداً إلى هذا العامل تتضاعف كثيراً، ويأخذ الدرس الحسيني من هذا الحساب شكلاً آخر ووضعية مختلفة، والسبب الأساس والعامل الرئيسي الذي يعطي لهذه النهضة جدارتها وأهليتها لتبقى دائماً مشعة ومشرقة على جبهة التاريخ وخالدة أبداً ودرساً أزلياً وثورة لا نظير لها في العالم هو هذا السبب، إن هذا العامل يرفع كثيراً من أهمية وقيمة النهضة الحسينية)[١٣] ■

---

١) الإمامة والسياسة: ١٨٦/١ .
٢) الإمامة والسياسة: ٢٣٠-٢٣١ .
٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٨٤/١ .
٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٤٤/١ .
٥) تاريخ الطبري: ٣٥٢/٥ .
٦) المصدر السابق: ١٦٥ .
٧) المصدر السابق: ١٦٦ .
٨) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٨٨/١ .
٩) شرح نهج البلاغة: ١٠١/١٠ .
١٠) تاريخ الطبري: ٤٨٤/٥ .
١١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٨٤/١ .
١٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٢٣٤/١ .
١٣) الملحمة الحسينية: ٥٥/٢ .

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: بكى علي بن الحسين على أبيه الحسين بن علي عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعامًا إلا بكى على الحسين، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة لذلك.

(كامل الزيارات ص ٢١٣)

تضحية الإمام الحسين عليه السلام في ضمير الشاعر السيد إبراهيم الطباطبائي

• د. حسين لفته حافظ
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

سخَّر شعراء أهل البيت عليهم السلام جُلّ طاقتهم لخدمة أهل البيت، فأخذوا يصورون المآسي التي مرت عليهم، بصور فنية مليئة بالحزن على ما تعرض له أصحاب العترة الطاهرة من ظلم على يد أشقى الناس، وشاعرنا (السيد إبراهيم ابن السيد حسين بن الرضا ابن السيد بحر العلوم. ولد قدس سره في النجف الأشرف سنة ١٢٤٨هـ وتلمذ على أبيه في عامة العلوم الإسلامية من التفسير والفقه والأصول والكلام كما أخذ الأدب والشعر عن أبيه أيضاً وحتى إذا اشتد شبابه وقارب أو تجاوز العشرين من سنّيه برع في العلوم الأدبية وتضلع بها وتعمق في اللغة والمعاني والبيان والشعر ، ذكره صاحب الحصون المنيعة في الجزء السابع وقال في جملة ما قال : وكان يحذو في شعره حذو السيد الرضيّ ، والأبيوردي.

وفي كتاب (حلى الزمن العاطل) : هو من أشهر شعراء هذا العصر بل من أفراد الدهر ، وهو على ما خوّله الله من شرف الحسب والنسب الركن العراقي لكعبة الفضل والأدب ، وأبيات قصائده مقام إبراهيم الذي ينسلون إليه من كل حدب، كان قويّ الحافظة جزل الأداء يرتجل الشعر وربما دعي لمناسبة مفاجأة فيقول القصيدة بطولها ويمليها بعد حين على كاتبه الخاص باسترسال، ورد مدحه على ألسنة الشعراء المعاصرين له كالسيد جعفر ابن السيد أحمد الخرسان النجفي، والشيخ محمد السماوي، والشيخ إبراهيم صادق العاملي، والشيخ عبد الحسين الحويزي، والسيد محمد سعيد الحبوبي، والسيد جعفر الحلي، والسيد موسى الطالقاني، والشيخ محسن الخضري وغيرهم

وديوانه المطبوع بمطبعة صيدا ـ لبنان يحتوي على مختلف فنون الشعر ، وعدة مراثي لشهداء كربلاء. توفي رحمه الله في النجف الأشرف يوم الثلاثاء ٦ محرم الحرام سنة ١٣١٩ هـ.)[1]

ولعل الملفت للنظر أن المتمعن في ديوان الشاعر يجد أن أدبه يندرج ضمن إطار ما بات يعرف بالأدب الملتزم، فأغلبية شعره كرسه للحديث عن مظلومية أهل البيت عليهم السلام، إذ قام شاعرنا بتحويل تلك المظلومية إلى صور فنية مؤثرة مستفيدًا من المفردات القرآنية ووضعها في المكان المناسب لها.

نص إحدى قصائده في تضحية الإمام الحسين عليه السلام:

ألا أي يوم جدَّ فيه ابن أحمد ... ترى ما به أيدي الجياد الضوامر
ليوم أراش الكفر منه مهاضةً ... فكان على الإسلام أشأم طائر
وخُيِّر ما بين اثنتين وقد زكت ... نقيبة طلاع إلى العز ثائر
فجنبها عن خطة الضيم وانتضى ... عزيمته واختار قرع البواتر
وأنى لها أن يركب الذل ضارعاً ... أبي أبى إلّا فروع المنابر
فأهوى إليها يشمل بغلمة ... تخوض ببحرٍ من دم الشوس زاخر
فمن كل قاني البرد أبيض ماجداً ... يتوَّج في الهيجاء زرق المغافر
إذا ما سطا أعطى المهند حقه ... واضمر للعسال عطّ الضمائر
فللَه في فتيان صدقٍ توازروا ... لنصر ابن طه قبل شدِّ المياز
إذا انتدبوا تحت العجاج تطالعت ... فوارسهم تهفو بشعث الغدائر
رجال إذا اشتدَّ الضراب رأيتها ... تشدُّ كأمثال النسور الكواسر
وإن هي أمَّت معرك الحرب ثلّمت ... حدود المواضي في نحور القساور
يغوص بها الضربُ الدراك فتلتوي ... تلوِّي مكمور الحشا والخواصر
إلى أن تهاوت بالقنا الملد بعدما ... أطنَّت أنابيب القنا المتشاجر
فتلك بجنب الطف أضحت جسومهم ... عواري لو لم ترتد بالمفاخر
تروح عليها الصافنات وتغتدي ... برض القوى منها بوطء الحوافر
وتشرق في أوج العواسل منهم ... وجوه كأمثال النجوم الزواهر
ولهفي لربات الخدور وقد بدت ... سوافر تدعو بالليوث الخوادر
بني غالب يا خير من عرَّقت بهم ... مناجيب فهر كابراً بعد كابر
رقدتم وهبَّت في الطفوف أمية ... تجرُّ علينا جائحات الجرائر
قضت وترها منكم على القلب وانبرت ... تقنعنا عن قلب حرّان واتر
تشج بقضب الهند منكم حناجراً ... وقد كنتم منها شجىً في الحناجر
تجشم فينا بطن كل مفازة ... وتقطع فينا ظهر أقتم غابر
ترامى بنا أيدي المطي سواغباً ... تشقُّ بنا في السير قلب الهواجر
تحنُّ وقد أورى المصاب فؤادها ... حنين هوامي العيس عبرى النواظر

تحليل القصيدة :

التوظيف الفني للواقعة الأليمة:

لم تكن واقعة الطف مجرد ثورة سياسية في حياة الأمة ذلك أنها انطوت على تأسيس مفاهيم وقيم إنسانية شمولية الأمر الذي جعلها تمتد عبر العصور لتعبر عن صرخة الإنسان واحتجاجه في صراعه المستمر ضد قوى الظلام والقهر، وإذا ما كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام قد أطاحت بربوبية العرش السياسي وقدسيته الأرضية وطغيانه بحيث أعطت الرفض والاحتجاج شرعيته والمتأمل في قصيدة شاعرنا يجد أنه استعمل عدّة تقنيات فنيّة في سبيل التأثير في المتلقي ولعل من أبرزها استعمال :

الإيحاء بالرمز :

يعد توظيف الرمز أو الترميز في الأدب بعامة سمة أسلوبية وأحد عناصر النص الأدبي الجوهرية منذ القدم، إلا أننا نراه قد تنوع وتعمق وسيطر على لغة القصيدة وتراكيبها وصورها وبنياتها المختلفة، والرمز بشتى صوره المجازية والبلاغية والإيحائية تعميق للمعنى الشعري، ومصدر للإدهاش والتأثير وتجسيد لجماليات التشكيل الشعري، وإذا وظف الرمز بشكل جمالي منسجم، واتساق فكري دقيق مقنع، فإنه يسهم في الارتقاء بشعرية القصيدة وعمق دلالاتها وشدة تأثيرها في المتلقي[٢].

ومن المفردات الموحية التي استعملها الشاعر مفردة (الصافنات) في إشارة رمزية كبيرة إلى الخيل وما فعلته تلك الخيل بجثمان الحسين الطاهر الأبي عليه السلام في واقعة الطف في قوله:

تروح عليها الصافنات وتغتدي
برضا لقوى منها بوطء الحوافرِ

نلاحظ أن الشاعر في هذا الرمز يطلق طاقته الإيحائية ذات الخواص الجمالية الفعالة في مخيلة المتلقي، ويغذيها بنوازع البحث، ويغريها بالتطلع إلى ما وراء الأكمة؛ إذ لابد أن خلف البناء الرمزي عالماً آخر يختبئ تحت الظلال التي يثيرها الحديث عن الخيل، خيل الأعداء ورض الأجساد الطاهرة وهي صورة حتمًا تثير الحزن وتهيج كوامن النفس لتستحضر ذلك اليوم الذي فجع به كل محب لأهل البيت عليهم السلام.

التصوير الفني :

الشعر ينبع من العاطفة، والتصوير الفني هو الذي يجسد هذه العاطفة، ويجعل الآخرين يشعرون بها ويتعاطفون معها ويتأثرون وهم يقرأونها أو يسمعونها، كما أنهم يستمتعون ببراعة التصوير ويتذوقون لذة الجمال المتجسد في القصيدة

وخاصة إذا كانت القصيدة تتحدث عن شخصية دينية لها حضور نفسي كبير عند محبيها كون تلك الشخصية ارتبطت بالسماء والخلود نحو شخصية الإمام الحسين عليه السلام، من هنا فإذا ما أريد (أن ينجح الشاعر في بناء صورة شعرية فنية، لابدّ أن يعتمد اللغة، فالصورة بناء لغوي، والكلمات وحدة هذا البناء)[٣]، على وفق هذا التأسيس الصورة الشعرية ليست مجرد عنصر طارئ في البناء العضوي للقصيدة، وليست زينة لفظية غايتها التزويق الفني وحسب، بل هي ركنٌ أصيل من البناء الفني للقصيدة (فثمة أفكار في القصيدة، لا تدرك ، ولا تجد تعبيراً واضحاً لها، إلا من خلال استعمال الشاعر للصورة)[٤] انظر إلى قول الشاعر:

وتشرق في أوج العواسل منهم
وجوه كأمثال النجوم الزواهرِ

لاحظ التصوير الفني المتكئ على فن التشبيه في قوله (وجوه كأمثال النجوم الزواهر) فليس هناك أجمل من تشبيه الوجوه بالنجوم، وليست أي نجوم إنها النجوم الزواهر.

وانظر إلى قوة التصوير في قوله:

رجالٌ إذا اشتدَّ الضراب رأيتها
تشدُّ كأمثال النسور الكواسرِ

فهو هنا يتحدث عن أصحاب الإمامَ الحسين عليه السلام مشبهًا إياهم بالنسور الكواسر وفي ذلك دليل كبير على عزيمة وقوة هؤلاء الرجال وثبات إيمانهم، والتاريخ يشهد على ذلك فقد ضحى أولئك الرجال بأغلى ما يملكون وهو النفس في سبيل نصرة دين محمد صلى الله عليه وآله.

اللغة الشعرية :

لاشك في أن للغة دوراً هاماً في بناء القصيدة في الآداب الإنسانية فالشعر هو: (أجود الألفاظ في أجود نسق، وإنه تخيّر لمداليل بعينها)[٥].

فالشاعر يستطيع من خلال قدرته ومهارته أن يستعمل الكلمة ويبعث فيها قدرته الروحية لكي تصبح أكثر قوة وأوضح معنى من غيرها وهذا ما يميز الشعر عن بقية الفنون الأدبية، فالكلام في الشعر يحوي بلاغاً وإبلاغاً إذا يسعى إلى وظيفة جمالية تسبق الوظيفة الإبلاغية واللغة الشعرية تختلف عن اللغة العادية بأنها مميزة بتركيباتها ومستغلة جميع طاقاتها المعجمية والصوتية والدلالية ومن هذه الأطر تأتي الوظيفة الجمالية للشعر ومن هنا تأتي أهمية الشاعر المبدع القادر على تسخير إمكانية اللغة والتلاعب بتركيباتها مما يمنح نصه خصوصية شعرية تجعله يتميز عن

غيره من النصوص.

ومن الجدير بالذكر أن لغة شاعرنا السيد إبراهيم الطباطبائي جمعت بين القديم والمعاصرة من خلال توظيف الشاعر لمفردات قديمة أثناء حديثه عن شمائل وصفات الإمام الحسين عليه السلام وخاصة ما يتعلق بالتضحيات الكبيرة التي قدمها، ومن تلك المفردات (أراش) و(الشوس) و (القساور) و(القنا) و(مناجيب فهر).

فالشاعر أراد أن يوصل رسالة مفادها أن الإمام عليه السلام ومن بين شِفار السيوف الحادة التي بعثها الباطل وسممها التزييف والتسويف وأرسلها الاستبداد والمال، وناضل الحسين عليه السلام عن عقيدته الناصعة وخلّف من ورائه التاريخ العربي الإسلامي، والنفوس المعتقدة بالإيمان الصادق يلهجان بذكراه وينشدان أناشيد بطولته الرائعة ويذكران آيات حكمته الطيبة، ويرفعان رايات ثورته الحمراء الدامية التي سارت على النور ومشت على السيوف البيض وتفننت على الأجراس الناعمة المهدهدة للقلوب المنعشة للأفئدة الباعثة للرقود الموقظة للأموات.[٦]

فضلًا عن كل ذلك احتوت قصيدة الشاعر على تعابير مجازية عبرت عن تضحية الإمام عليه السلام ومن تلك التعابير قوله: (وانتضى عزيمته)، فالشاعر هنا يصور العزيمة على أنها حصان قوي ينتضيه الإمام للنيل من أعدائه وفي ذلك دلالة على قوة العزيمة والإرادة والعزم على التضحية في سبيل الإسلام الحنيف.

كذلك تعمد الشاعر استعمال الكناية للتعبير عن مكانة ومنزلة الإمام الحسين عليه السلام في النفوس وذلك في قوله (ابن أحمد) و(ابن طه) والشاعر هنا يتقصد هذا الاستعمال لأن فيه دلالة كبيرة على مدى قرابة الإمام الحسين عليه السلام من نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وهو يريد أن يوجه رسالة إلى كل من ناصر أعداء الحسين عليه السلام إنهم بعملهم هذا يعادون النبي صلى الله عليه وآله وحربهم على الحسين عليه السلام هي حرب على النبي صلى الله عليه وآله، كذلك استعماله لأحمد وطه هو استعمال قرآني فقد وردت كلتا الكلمتين في القرآن الكريم ■

---

١) ادب الطف ـ الجزء الثامن ص ١٦٤

٢) للمزيد حول الرمز ينظر: الرمز في الشعر العربي الحديث، د. أحمد الزعبي.

٣) لغة الشعر العراقي المعاصر: ٣٥.

٤) مستقبل الشعر وقضاياه الفنية، د. عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٩٤: ١١٨.

٥) ينظر تعريف كولردج للشعر في مبادئ النقد الأدبي.١٣

٦) الحسين الشهيد في روائع التضحية: محسن جمال الدين:٣

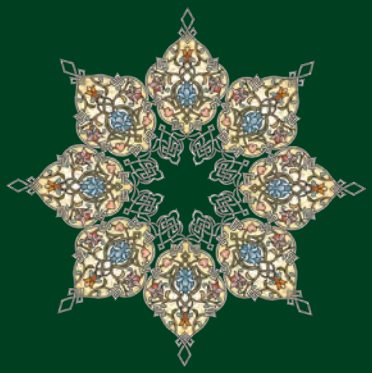

الإمام الحسين عليه السلام
في كتب العامة:

* حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحب الحسن والحسين.

(البخاري- الأدب المفرد - باب معانقة الصبي)

* إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد حسن وحسين عليهما السلام فقال :من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة.

(مسند أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة - مسند الخلفاء الراشدين)

* عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه حسن وحسين هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرة ويلثم هذا مرة حتى انتهى إلينا فقال له رجل : يا رسول الله إنك تحبهما فقال : من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني.

(مسند أحمد - باقي مسند المكثرين - مسند أبي هريرة)

* حسين مني ، وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط.

(أحمد بن حنبل - فضائل الصحابة - فضائل الحسن والحسين عليهما السلام)

* عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم وعيناه تفيضان ، قلت : يا نبي الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان، قال : بل قام من عندي جبريل قبل فحدثني : أن الحسين يقتل بشط الفرات ، قال : فقال : هل لك إلى أن أشمك من تربته ، قال : قلت : نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا.

(مسند أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة - مسند الخلفاء الراشدين)

* عن جابر قال: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله: يقوله.

(الهيثمي - مجمع الزوائد ج٩ص ١٨٧)

فلسفة الموت عند الإمام الحسين عليه السلام

• أ.م.د. عباس علي الفحام
كلية التربية الأساس/ جامعة الكوفة

ينابيع

ارتبطت مفردة الموت في المأثور الأدبي العربي بالشر ومعانيه بشكل عام، باستثناء تغني الفرسان بالموت والحرب من جهة الشجاعة والإباء، وقد حملت صور الشعراء كراهية للموت ورسمت له صورًا بشعة كررها الشعراء كثيرًا على مر العصور، مثل قول أبي ذؤيب الهذلي راثيًا أبناءه:

وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفعُ

وقول ابن الرومي راثيًا ولده الصغير[1]:

ألا قاتل الله المنايا ورميها
من القوم حبات القلوب على عَمدِ

وفي العصر الحديث مثل هذه الصور كقول الجواهري[2]:

أنا أبغضُ الموتَ اللئيم وطيفَهُ
بُغْضي طيوفَ مُخاتلِ نصّابِ
يَهَبُ الردى شيخوختي ويقيتُها
بكهولتي، ويقيتُها بشبابي
ذئبٌ ترصّدني وفوق نيوبهِ
دَم إخوتي وأقاربي وصحابي

أما في مأثور أهل البيت عليهم السلام فلن تجد مثل هذه المعاني، ففي قول الإمام علي عليه السلام أكثر من صورة للموت ليس فيها مثل هذه الحدّة من الكراهية كوصفه له بأنه: (زائر غير محبوب، وقرن غير مغلوب، وواتر غير مطلوب)[3]. وقد لخص الإمام علي عليه السلام فلسفته في إقبال الموت عليه على أنه فوز حين أطلق صيحته المشهورة: (فُزتُ وربّ الكعبة)[4] عندما ضرب رأسه الشريف ابن ملجم، وهو ساجد لله تعالى في صلاة الفجر، وهي صيحة فرح أذهلت الإنسانية وأبانت عن عمق ذوبانه في الله تعالى، واختزلت في ثلاث كلمات أكثر من ستة عقود من الجهاد والتفاني في الإخلاص للخالق العظيم. فهو لم يعلن فوزه هذا في مناسبات شبيهة بمثل هذه الضربة يوم الخندق مثلًا، ولم يطلق صيحة الوجع على الإطلاق، بل أعلنها ربحًا ومجازًا نحو حياة أبدية خالدة تحت رحمة الخالق العظيم. وتلك لا ريب فلسفة عملية عميقة قدمها الإمام علي عليه السلام

ورثها من بعده ولده عليه السلام وتبعها الأحرار في مختلف العصور.

بهذا البصر النافذ نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى إقباله على الموت، بوابة عظيمة من بوابات العبور إلى الفوز بالشهادة ورضوان الله تعالى وإحياء دين المصطفى صلى الله عليه وآله ورفض الظلم والطغيان، لذلك كانت تعبيراته ناظرة إلى أبعد من زمانه الذي عاشه، إلى العصور كلها، وكأنه يعلم أنه سيكون شعار الأحرار وطالبي الحرية ورافضي الظلم عبر المستقبل الإنساني، فالتمس لأفكاره زيادة على ما ورث من آبائه من قيم البطولة والشهادة كلمات تستعمل في معاني الحب والاشتياق وقلما تستعمل في صور الموت، في ظاهرة تستحق من الباحثين الوقوف عليها مليًا لاستجلاء خباياها وخفاياها، أقلها روعة استبساله في الإيمان بفكرته والتضحية دونها ورؤيته للفوز الحقيقي المستقبلي على الرغم من يقينه بخسارته العسكرية الآنية، بعبارة ثانية قدم الإمام الحسين عليه السلام معنى جديدًا للانتصارات والانكسارات في الحروب لا يمكن تبيانه إلا بالنظر الفاحص إلى قصة الإمام الحسين عليه السلام وعمق كلماته.

ويمكن تلمس بعض الوقفات:

السعادة:

قال الإمام الحسين عليه السلام في مكة حين عزم على بدء الإعلان عن قيامه والمسير إلى العراق: (لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما) [٥].

بهذا الحصر والقصر بأسلوب

النفي والاستثناء، ينفي رؤيته للموت بغير رؤية الفرح والسعادة، والحياة مع الظلم والطغيان سوى الضجر والبرم.

إن ذلك الموت الذي يقضي على الأنفاس ويقطع الآمال وبكل ما يحمل من معاني التعلق بالحياة لا يعني للإمام سوى السعادة، سعادة لا يبصرها غيره، لأنها تتعلق بقيم غالية اختير لإحيائها وإن كان الثمن غاليًا بقيمة دم الإمام الحسين عليه السلام وأبنائه وصحبه إلا أن الغاية أغلى وأثمن، إنها إحياء الدين الإسلامي وسُنة الرسول صلى الله عليه وآله، نعم إن ثمن دماء الإمام الحسين عليه السلام غالٍ وخسارته بهذه الطريقة عزيزة، نعم هي كل تلك المعاني التي نُحيي لأجلها ذكراه على مدى القرون الماضية غير أن الهدف الأسمى يستحق ذلك، فالأمة التي استساغت لنفسها هذا الركون وهي ترى وتسمع كيف تسعى السلطة الأموية علنًا لتشويه صورة الإسلام وتغيير شكله ومضمونه – أقول – إن الأمة لا يوقظ نومتها غير هذا الثمن العظيم ولا ينبهها من نومتها سوى صيحات الإمام الحسين عليه السلام: (ألا هل من ناصر ينصرنا) و (انسبوني من أنا) وغير صراخات أطفاله العطشى وسبي نسائه الثكلى كأسارى الديلم والروم .

لكل ذلك يسمي الإمام الحسين عليه السلام موته سعادة لأنه حقق اختيارًا إلهيًا لهذه المهمة العظيمة ولأنه أنجز واجبًا أنيط به ونبأه بتفاصيله وفداحته جده العظيم وأبوه البطل صلوات الله عليهما وعلى آلهما.

القلادة والوله:

يتداعى إلى الذهن حين تطلق لفظة (القلادة) منظر الفتاة ومعاني النعومة والانشداد إلى الحياة وملذاتها، غير أنها هذه المرة تخالف المخزون الذهني بقلب صورتها على وفق فلسفة الإمام الحسين عليه السلام، فقد قال عليه السلام في خطبته ذاتها التي عزم فيها على التوجه إلى العراق الذي هو رمز معارضة الطغيان على الرغم مما يقال عنه من غدر للإمام الحسين عليه السلام: **(الحمد لله وما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف)**[٦]. لا أذكر أحدًا قدم للموت صورة جميلة في الظاهر سوى هذه الصورة التي تحمل فكرًا عظيمًا بعظمتها، فالإمام يريد: أن للموت أثر على المرء لابد منه وهو لصيق به، ولا يمكن نزعه عنه، وعقد له شبهًا يخالف ما أثر من الصورة المأثورة المنفرة للموت وذكر سماعه بالنسبة لغير الإمام الحسين وآله عليهم السلام، صورة أثر خط قلادة الفتاة المطوق لجيدها، وفي إيحاء الطوق المستبطن في معنى القلادة ما يشير إلى حتمية انقياد المرء إلى الموت، والانقياد يتم في العادة من الرقبة إمعانًا في رسم صورة الاستسلام، على الرغم من أن ظاهر الصورة قلادة وفتاة، ويبدو أن اختيار الفتاة دون غيرها لولعها بديمومة لبس الحلي ديمومة تستبين معه آثار الطوق

أكثر. إن تقديم هذه المعاني باستعمال الفعل المبني للمجهول (خُط) يشير أيضًا إلى تلك الحتمية، إذ إن التصريح بالفاعل هنا لا مبرر له لأنه معلوم لدى السامع وظاهر وهو الله تعالى، وطالما أنه حتميّ قُدّر على كل ولد آدم بأجناسهم وأديانهم المختلفة، وهو هنا يعني تلك المعاني لأنه لم يستعمل بدلها لفظة (المسلمين أو المؤمنين) بل (ولد آدم) على جهة العموم.أقول طالما أنه كذلك فما أشوق الإمام عليه السلام للالتحاق بآبائه مشبّهًا ولَهُ هذا باشتياق يعقوب النبي لولده يوسف، في كناية واضحة إلى تطلعه إلى الفوز بالشهادة في سبيل الله تعالى. وهي من قوله تعالى حكاية عن يعقوب:

(وتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (يوسف: ٨٤-٨٦). إن عبارات الإمام الحسين عليه السلام وما تحمل من ألفاظ الوَلَهْ والسعادة والاشتياق لا تدل إلا على عشق حقيقي عميق لاغتنام فرصة الشهادة التي أوّلها الموت وآخرها لقاء الأحباب الماضين وغايتها نيل الفوز برضوان الله تعالى.

العسل:

كان الإمام الحسين عليه السلام في غاية الصراحة والواقعية مع أصحابه وأهل بيته في مواقفه كلها، فقد دعاهم غير مرة إلى الاختيار بين الرحيل أو البقاء إن شاؤوا، وفي ليلة الواقعة قال لهم: (يا قوم! إني في غدٍ أُقتل وتُقتلون كُلكم معي ولا يبقى منكم واحد. فقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك، أو لا ترضى أن نكون معك في درجتك يا ابن رسول الله؟! فقال عليه السلام: جزاكم الله خيرا. ودعا لهم بخير، فأصبح وقُتِل وقُتِلوا معه أجمعون. فقال له ابن أخيه القاسم بن الحسن عليه السلام: وأنا فيمن يقتل؟ فأشفق عليه فقال له: يا بني! كيف الموت عندك؟ قال: يا عم! أحلى من العسل! فقال عليه السلام: إي والله! فداك عمك، إنك لأحد من يقتل من الرجال معي بعد أن تبلي ببلاءً عظيم)[٧]، ومحل الشاهد قول القاسم ابن الحسن عليه السلام وتأييده له (أحلى من العسل) بهذه السهولة من التعبير عن الموت وبهذه الثقة العظيمة بالله تعالى. وكأن هذه الروح التواقة إلى ذلك اللقاء الإلهي انتقلت بفعل العشق الحسيني إلى جميع أهل بيته وأصحابه الصغار منهم والكبار الرجال فيهم والنساء لأن في قصص كربلاء من تلك الصور ما يعجز عنه وصفه البيان ويقصر دون حده اللسان.

الحق:

وللموت معنى آخر في فكر الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام هو (الحق)، ومن أجل إحقاق الحق ترخص النفوس، ففي حوارية بينه وبين ولده علي الأكبر في منطقة قريبة من ضواحي الكوفة تسمى (قصر بني مقاتل) ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه: (لما كان في آخر الليل أمر الإمام الحسين عليه السلام بالاستقاء من الماء، ثم أمرنا بالرحيل، ففعلنا، قال: فلما ارتحلنا من قصر بني

مقاتل، وسرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين. ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين عليه السلام على فرس له فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، يا أبت! جعلت فداك مم حمدت الله واسترجعت؟ قال: يا بني! إني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس على فرس، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا، قال له: يا أبت! لا أراك الله سوءًا، ألسنا على الحق؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد. قال: يا أبت! إذا لا نبالي، نموت محقين. فقال له [الحسين عليه السلام]: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدًا عن والده)[8]، ولاشك في أن هذه الصور البطولية تنقل لنا عظمة هذه النفوس وسر الله تعالى في اختيارها في قرابين التضحية لأجل التغيير وهز العالم الإسلامي لينتفض من جديد. فهي شخوص قالت وفعلت، بل إنها حين قالت فعلت أكثر مما قالت.

هيهات منا الذلة:

إن هذا الشعار الذي رفعه الإمام الحسين عليه السلام في إباء الذل وإيثار الموت لا يمكن عده لزمن دون زمن، إنه يسري من مفاصل مستقبل الإنسان سريان الدم في الشرايين، تصلح في كل زمان وتتخذ لغة لكل إنسان حر يناضل من أجل قضية يؤمن بها، ولعل ذلك من بعض أسرار الحياة للثورة الحسينية وهذا الفكر الوقاد الذي أحسن مخاطبة الإنسان وعرف لغاتها كلها، قال الإمام الحسين عليه السلام: (ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا أخذ الدنية، يأبى الله ذلك لنا ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا إني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد، وخذلان الناصر)[9].

عقد الإمام لأسباب هذا الإباء صورتين متقابلتين:

الصورة الأولى: صورة الدعي ابن الدعي ويعني به عبيد الله بن زياد، وهو دعي لأنه مطعون النسب، فأبوه زياد - الملقب بابن أبيه - قد أغراه معاوية أن يلحقه بأبيه أبي سفيان شريطة الالتحاق بأتباعه، ولذلك هو دعي وابن دعي. أو لأنه يدعي ما ليس له من الإمرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة قتال الإمام الحسين عليه السلام بعَدّه خارجًا على بيعة الخليفة يزيد الفاسق والخارج على سنن الإنسانية فضلًا عن الإسلامية، والأول هو الأرجح.

الصورة الثانية: صورة نفسه عليه السلام وأهله التي صرح بإبائها للذّلة وأخذ الدنيّة، موضحًا عزة المحتد وطيب الأرومة من الآباء الطيبين والأمهات الطاهرات اللواتي كنى عنهن بـ (حجور طابت)، معرضًا في الوقت ذاته بإيحاء خفي بالصورة المقابلة له حين ذكره بلفظ الدعي.

إن مسألة الاستكانة بالوضع المنحرف القائم آنذاك يعني بالنسبة

للإمام الحسين عليه السلام ذُلًا لا يمكن له الإقرار عليه، لذلك أعلنها صراحة وهو في المدينة حين طُلب إليه بيعة ليزيد بن معاوية (إن مثلي لا يبايع مثله)، لا حين خُيّر بين اثنتين القتل أو المبايعة التي سماها الذّلة، فضّلَ الأولى مُعَلّلًا بأسباب معروفة لا تسمح بغير خيار الإباء، فقال مباشرة على سبيل تواصل الكلام (وهيهات منا الذلة) وعدد منها:

أولًا: إنها قضية شرعية، إذ كيف لمسلم - فضلًا عن الإمام الحسين عليه السلام ومنزلته بين المسلمين - مبايعة رجل معروف بخلاعته وخروجه العلني على قوانين السماء والشريعة من اللهو الماجن وشرب الخمر واللعب بالقرود وإتيان المحرمات.

ثانيًا: الطبيعة الاجتماعية المعروفة لهذه الأسرة الهاشمية المحمدية من الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة التي عبر عنها الإمام بـ(جدود طابت وحجور طهرت ..) وأطلق عليها مختلف الصفات الأبية من الأنوف الحميّة والنفوس الأبيّة وكلها من كنايات العزّ والشرف التي تأبى الذل والانقياد الأعمى للباطل وتفضل عليه الموت. ومن هنا أعقب هذه الإباء بما يعزز مكانة هذه الأسرة، فقال معلنًا أنه زاحف بها للتغيير، ولا أدري هل فهم الناس وقتها بعد معنى كلامه هذا، لأن العربي من طبيعته وقت الحرب أن يصون عرضه ولا يعرضه لأخطار الحرب والسبي، بينما الحسين عليه السلام يعلن أنه سيزحف إشعارًا ببدء حربه السلميّة بدلالة لفظ (الأسرة) وأي أسرة إنها أسرة آل محمد وحرمه الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ■

---

١) ديوان ابن الرومي، تحقيق عبد الأمير علي مهنا: ١٤٥

٢) ديوان الجواهري، الأعمال الكاملة: ٧٢٦/٤

٣) نهج البلاغة، بشرح محمد عبده: ٢٢٤/٢

٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣٨٥/١

٥) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٢٢٤/٣، ترجمة الإمام الحسين، ابن عساكر: ٣١٦

٦) كشف الغمة، الإربلي: ٢٣٩/٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٣٩٨

٧) الهداية الكبرى، الخصيبي: ٢٠٤، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٤٨٧

٨) مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف: ٩٢، الإرشاد، الشيخ المفيد: ٨٢/٢، تاريخ الطبري، الطبري: ٣٠٨/٤،

٩) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٥٩

حدث في مثل هذا الشهر

أهم أحداث شهر المحرَّم الحرام:

يعتبر شهر المحرَّم الحرام، بداية السنة الهجرية.

(١) المحرَّم: رأس السنة الهجرية.

(٢) المحرَّم: وصول رَكبُ الإمام الحسين بن علي عليه السلام إلى أرض كربلاء سنة ٦١هـ.

(٣) المحرَّم: وصل عمر بن سعد بن أبي وقاص على رأس جيش الكوفة إلى أرض كربلاء لقتال الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

(٣) المحرَّم: وفاة السيد محمد بن الحسين (الشريف الرضي) جامع خُطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتابه المعروف المُسمّى بـ(نهج البلاغة) عام ٤٠٦هـ.

(٩) المحرَّم: حُوصر الإمام الحسين مع أهل بيته عليهم السلام وأصحابه في أرض كربلاء عام ٦١هـ.

(١٠) المحرَّم: استشهاد الإمام الحسين عليه السلام سبط النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وريحانته وسيد شباب أهل الجنّة في معركة الطف المروّعة غير المتكافئة، التي آلت إلى استشهاده وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، على يد المجرمين العتاة من بني أمية (عليهم لعائن الله)، وذلك في عام ٦١هـ.

(١١) المحرَّم: سار جيش عمر بن سعد بن أبي وقاص بسبايا أهل بيت النبوة عليهم السلام و هم أُسارى مُرَبَّطين بالحبال من كربلاء إلى الكوفة.

(١٥) المحرَّم: فتح قلعة خيبر اليهودية على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ٤هـ.

(١٥) المحرَّم: ولادة السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر عليه السلام (ابن طاووس) عام ٥٨٩هـ.

(١٧) المحرَّم: ولادة الشيخ البهائي بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي في مدينة بعلبك (لبنان) عام ٩٥٣ هـ.

(١٧) المحرَّم: نزول العذاب على جيش أبرهة (أصحاب الفيل) حينما أرادوا هدم الكعبة المشرفة فجعلهم الله (كعصف مأكول)، وذلك في العام الذي ولد فيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عام ٥٣ قبل الهجرة.

(١٨) المحرَّم: تحوّل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى الكعبة المكرمة سنة ٢هـ.

(٢٢) المحرَّم: وفاة الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة والشهير بالشيخ الطوسي عام ٤٦٠هـ.

(٢٥) المحرَّم: استشهاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ودفن في البقيع بالمدينة المنورة عام ٩٥هـ.

(٢٥) المحرَّم: مقتل الخليفة العباسي الأمين في بغداد على يد أخيه المأمون عام ١٩٨هـ.

(٢٦) المحرَّم: توفّي علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنّى بن الإمام الحسن المجتبى عليهم السلام في سجن المنصور العباسي عام ١٤٦هـ.

(٢٨) المحرَّم: سقوط الدولة العباسية على يد الجيش المغولي بقيادة هولاكو الذي دخل

بغداد بعد محاصرتها فترة قصيرة، فأسر آخر خلفاء الدولة العباسية، (المستعصم بالله) ثم قتله مع أولاده، وبذلك انتهى الحكم العباسي عام ٦٥٦هـ.

* * * * * * *

أهم أحداث شهر صفر الخير:

(١) صفر: بداية حرب صفين عام ٣٦ هـ.

(١) صفر: دخول قافلة عيال الحسين عليه السلام سبايا إلى الشام عام ٦١هـ.

(٢) صفر: شهادة زيد بن علي عليه السلام في الكوفة عام ١٢١هـ.

(٣) صفر: ولادة الإمام الباقر عليه السلام عام ٥٧هـ (على رواية).

(٤) صفر: صلب زيد بن علي عليه السلام في الكوفة عام ١٢١هـ.

(٧) صفر: استشهاد الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام سنة ٥٠هـ.

(٧) صفر: ولادة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في الأبواء عام ١٢٨هـ.

(٨) صفر: وفاة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه في المدائن عام ٣٥هـ.

(٨) صفر: وفاة المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره عام ١٤١٣هـ.

(٩) صفر: استشهاد الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنه في معركة صفين عام ٣٧هـ.

(٩) صفر: حرب النهروان بين أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج عام ٣٨هـ.

(١٣) صفر: اختيار التحكيم في صفين عام ٣٧هـ.

(١٤) صفر: استشهاد محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وحرق جثمانه بأمر عمرو بن العاص عام ٣٨هـ.

(١٦) صفر: سقي السم للإمام الرضا عليه السلام على يد المأمون العباسي عام ٢٠٣هـ.

(١٧) صفر: استشهاد الإمام الرضا عليه السلام عام ٢٠٣ هـ.

(١٩) صفر: وصول الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وأصحابه إلى كربلاء عام ٦١هـ.

(٢٠) صفر: أربعين الإمام الحسين عليه السلام وإرجاع الرأس الشريف إلى الجسد الطاهر عام ٦١هـ.

(٢٤) صفر: اشتداد مرض النبي صلى الله عليه وآله عام ١١هـ.

(٢٥) صفر: طلب النبي صلى الله عليه وآله دواة وكتفًا ليكتب لهم كتابًا لن يظلوا بعده أبدًا وامتناع القوم من ذلك عام ١١هـ.

(٢٦) صفر: أمر النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة بالالتحاق بجيش أسامة بن زيد عام ١١هـ.

(٢٦) صفر: طلب النبي صلى الله عليه وآله من أمير المؤمنين عليه السلام إحضار دواة وكتف لكتابة أسماء الأوصياء من بعده أولهم الإمام علي عليه السلام وآخرهم بقية الله الأعظم عليه السلام عام ١١هـ.

(٢٦) صفر: وفاة المرجع الكبير السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره في ظروف غامضة عام ١٤١٤هـ.

(٢٨) صفر: عروج روح النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى عام ١١هـ.

(٢٨) صفر: دفن النبي صلى الله عليه وآله في منتصف الليل عام ١١هـ.

سيدة الطف زينب عليها السلام
بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام

د. مجيد حميد الحدراوي •
كلية الآداب/جامعة الكوفة

ينابيع

العقيلة زينب عليها السلام بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أمها سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بنت الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والمرسلين، وأخت سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام وريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله، سليلة الشرف الباذخ الذي لا يفوقه شرف، ولدت سلام الله عليها في الخامس من جمادى الأولى في السنة الخامسة للهجرة، وتربت في منزل الوحي ومدرسة النبوة، حيث شملها سيد الكائنات وأشرف المخلوقات النبي محمد صلى الله عليه وآله بحبه ورعايته منذ ولادتها، فاختار لها اسمًا (زينب) واهتم بها حتى بلغت الخامسة من عمرها، تنهل في مدينة علمه النبوي إذ صارت عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة ...، أخذت عن جدها علمه وفصاحته وزهده وعبادته واعتكفت بعده بمدينة علمه عند بابها العلوي، المتغداة بلبانه من أمها الصديقة الطاهرة سلام الله عليها ، وقد طوت عمرًا من الدهر مع الإمامين السبطين يزقانها العلم زقًا، فقد اغترفت من عباب علم آل محمد صلى الله عليه وآله، فكانت تشبه أمها لطفًا ورقة، وتشبه أباها علمًا وتقى، وكان لها مجلس علمي حافل تقصده النساء اللواتي يردن التفقه في الدين، اجتمع لها ما لم يجتمع لغيرها من النساء فكان يروي عنها ابن عباس فيقول : (حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي)[1].

استقبل آل بيت النبوة زينب منذ ولادتها بالدموع والهموم لأنهم كانوا عالمين بالأيام السود التي تنتظرها في كربلاء، فكانت محاطة برعاية خاصة من جدها العظيم محمد صلى الله عليه وآله، وعطف أمها الزهراء وأبيها المرتضى وأخويها الحسنين سلام الله عليهم جميعا، وتمضي الأيام وتدرك

العقيلة الدور الخطير الذي ينتظرها في مستقبل أيامها حينما أخبرتها أمها الزهراء عليها السلام وهي تعدها لتلك المهمة الكبرى.

ما إن بلغت سيدة الطف الخامسة من عمرها حتى انهالت عليها المصائب تترى، أولها حينما رأت جدها المصطفى يلبي نداء ربه ويوارى الثرى على مقربة من دارها، ثم تشهد ما جرى بعده من أحداث عصيبة وتنكر القوم لأبيها ووصية جدها محمد صلى الله عليه وآله واغتصابهم حق آل بيت النبوة وهجومهم على دار الزهراء عليها السلام والاستعداد لإحراقه طلبًا للبيعة... واستشهاد أبيها علي وأخيها الحسن عليهما السلام في الكوفة...، نعم أبصرت العقيلة كل ذلك إلا أن ما كان ينتظرها أشد وأعظم ...

حينما امتلك بنو أمية رقاب المسلمين وتولى الطلقاء وأبناء الطلقاء الخلافة منهم عملوا على تهديم قواعد الدين الإسلامي الحنيف وتغيير عقائده بما يتفق ومصالحهم الدنيوية وهؤلاء لم يكونوا يومًا جديرين بقيادة الأمة المحمدية، فأضمروا الحقد لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وإن يزيد الذي تأمّر على المسلمين باسم الإسلام فهو ضال مضل شارب للخمر منتهك للحرمات لا يصلح أن يتولى أحقر أمر من أمور المسلمين فضلًا عن هذا المنصب الخطير الذي امتلك به رقاب العباد.

لقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام ما

وصلت إليه الأمة من تدهور في أحوالها وذهاب لأخلاق أبنائها، التي أفسدها بنو أمية بسياستهم الهوجاء ويكفينا دليلًا على ذلك استسلام الأمة الإسلامية لطاغية مثل يزيد والتسليم بقيادته، فأراد الحسين عليه السلام أن يحدث صعقة في الأمة التي أصابها الجمود والخنوع، ولهذه الغاية استنفر الحسين في سبيل الحفاظ على دين جده كل ما يملك من أبناء وإخوة، رجال ونساء وأطفال إلى كربلاء ليظهر للعالم أجمع أحقاد بني أمية ومن والاهم، واستهتارهم بكل القيم والمقدسات فكان ركب الحسين يمثل الصفوة الخالصة في الأمة التي آمنت بالله ورسوله ورسالة الإسلام الخالدة واستعظمت أن تؤثر الصمت على مقاومة الظلم والطغيان، فآثرت التضحية بكل ما تملك في سبيل الإسلام، فآمنت بالحسين عليه السلام الذي كان عالما بأن يزيد سيقدم على قتله وأصحابه وسبي نسائه وأطفاله، ويتهمه وأصحابه بأنهم خوارج لذا كان لابد من أن يعد للأمر العدة ويجد من يؤمن بالقضية ويمكن النهضة من تحقيق أهدافها.

لقد أعد الإمام الحسين عليه السلام العقيلة زينب عليها السلام لاستكمال نهضته من بعده ومن أقدر منها على معرفة الحق وأهله؟ فهي التي ورثت العلم والبلاغة والصبر والجلد عن آبائها ورسخ الإيمان في نفسها إلى حد لا تغلبه العاطفة ولا تضعفه القوة والشدة، خطيبة جريئة لا تأخذها في الله لومة لائم، جاهدت في البيان واللسان لتأدية الرسالة العظمى وإبلاغ الحجة التي بها إحياء الحق وإماتة الباطل، فلم يرهبها ابن مرجانة وبطشه، ويزيد وطيشه، وقفت في وجههما كاشفة عن الحق وأنهما الطغاة الكفرة الخارجين من الإسلام، وأظهرت لجموع المسلمين في الكوفة والشام أن الحسين عليه السلام قتل في سبيل الدين وإحيائه، وأنه ما خرج إلا على الظلم وأهله وأنه لم يضحّ بنفسه وكل ما يملك إلا ليحي العدل ويستنقذ الأمة من الظلم

والاستعباد ويحرر رقاب المسلمين من العبودية والذل ويغل يد الظالمين عن الظلم.

تلقت سيدة الطف المصائب والخطوب فكانت جبلاً من الصبر، شاهدت مصرع الأكبر والرضيع والقاسم وأخويها العباس والحسين عليهم السلام، وأبنائها الثلاثة وبقية الآل والأصحاب وحرق الخيام وهجوم الجيش على معسكر الحسين عليه السلام وتفرق الأطفال والنساء في البيداء هائمين ليس لهن ولي ولا كفيل، تلقت ذلك كله - والذي يشيب له الرضيع - بصبر عظيم وتجلد لا يوصف فعملت في تلك الحالة على جمع عيالات الرسول صلى الله عليه وآله وأطفاله من هنا وهناك، وأمرتهم بالصبر على البلاء والرضا بالقضاء، ولم تنقص المصيبة من عزة نفسها وإبائها المحمدي العلوي الحسيني، حيث سارت مع عيال أخيها من كربلاء إلى الكوفة ثم إلى الشام تتفقدهن وتحافظ عليهن، وعندما عرض الإمام السجاد على ابن زياد في الكوفة فأمر بقتله (فتعلقت به زينب عمته وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه؟ فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ثم قال: عجبًا للرحم! والله إني لأظنها ودت أني قتلتها معه، دعوه فإني أراه لما به)[٢]. فحافظت سلام الله عليها على بقية العترة الطاهرة وسلمته من القتل.

استكملت سيدة الطف في الكوفة جهاد أخيها الإمام الحسين عليه السلام في إبلاغ الحجة وتكذيب الدعايات الأموية فحينما دخل موكب السبايا الكوفة استقبله أهلها بالبكاء فأشارت إليهم أن اسكتوا فطأطؤوا رؤوسهم خزيًا وندمًا، وألقت خطبة عصماء ظلت مدوية عبر التاريخ ترددها الأجيال لتُعرَف من خلالها حجم الجريمة التي ارتكبت بقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه[٣].

ولقد أحرقت كلمات العقيلة نفوس أهل الكوفة وأحسوا بوخز الندم منذ اللحظة الأولى التي وقفت فيها بطلة كربلاء موقفها الأليم المثير، فقد أعلنت انتصار الحق على الباطل، انتصار

المنهج الحسيني على المنهج الأموي، ولما كانت سنة ٦٥هـ كانت صيحات أهل الكوفة (يا لثارات الحسين) تزلزل الأرض تحت أقدام بني أمية .

سيق الركب إلى الشام تتقدمه رؤوس الشهداء، ولما وصلت السبايا إلى الشام خرج أهلها بالطبول والأعلام يتلون أناشيد النصر حيث روج بنو أمية الأكاذيب بانتصار يزيد على الخوارج (الحسين وأصحابه)، فازدادت العقيلة حزنًا وغيظًا على ما رأت من (استقبال) أهل الشام، فضلًا عن ذلك المشهد الرهيب من يزيد بعدما أدخلوهم عليه فقد انثنى يعبث بقضيب في يده بثنايا الإمام الحسين عليه السلام وهو ينشد قصيدة شاعر الجاهلية ابن الزبعرى[٤]:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلُّوا واستهلُّوا فرحًا
ثم قالوا يا يزيد لا تُشل

وردًا على هذا التصرف العدواني من يزيد انتفضت سيدة الطف تصيح في الطاغية : (...أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما يساق الأسارى، أنّ بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة ؟ .. فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) (آل عمران:١٧٨) ثم تحولت الحوراء عليها السلام إلى لغة التقريع فقالت: (أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدوا بهم الأعداء من بلد إلى بلد.. وكيف يُرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم: لأهلُوا واستهلُوا فرحا، اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا.. وحسبك – يا يزيد – بالله حكماً وبمحمد صلى الله عليه وآله خصماً وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلم من سوّل لك ومكنك من رقاب المسلمين أن بئس للظالمين بدلاً وأيكم شرّ مكاناً وأضعف جندًا.. ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك إنّي لاستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك ولكن العيون عبرى والصدور حرّى ... ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرمًا .. فكد كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلاّ فند وأيامك إلاّ عدد وجمعك إلاّ بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين)[٥]

استطاعت سيدة الطف أن تجعل من مصرع الحسين عليه السلام مأساة خالدة وصيرت من يوم استشهاده مأتما سنويًا للأحزان والآلام وأنّ قتل الحسين عليه السلام ليس إطفاءً لنور الله وإماتة لسنة رسوله صلى الله عليه وآله بل إحياء للدين والشريعة وقتلًا للظلم والضلال، وقد تحقق كل ما قالته عقيلة الهاشميين ليزيد وصدق كلامها، فنعى على يزيد عمله بعض من حضر

وأضربت الشام احتجاجًا على ما ارتكبه وأنه قد أساء إلى الأمة والدين، وأقيم العزاء على الحسين في قصره لثلاثة أيام رغم أنفه، وجاء أمر الله وانمحت دولة الضلال وسقط سلطان الجور، وقتل المختار أنصار الظلم ورجال الفساد وتحققت نبوءة الحسين عليه السلام في قدرة العقيلة على أداء مهمتها على أكمل وجه في مدة عام ونصف بعد مقتل أخيها الحسين عليه السلام، فتوفيت في عام ٦٢هـ، ومكان وفاتها اختلف المؤرخون فيه، فمنهم من قال في مصر ومنهم من قال في الشام ومنهم من قال في المدينة.

تمكنت سيدة الطف في المدة القصيرة التي عاشتها بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام أن تغير مجرى التاريخ، فلقد ظن بنو أمية أن مقتل الحسين عليه السلام وآله الفصل الأخير في قصة التشيع، إلا أن سيدة الطف أفسدت على الطغاة من بني أمية مخططاتهم وسلبتهم لذة النصر بعد أن سكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين، وأفضت بعد مدة قصيرة إلى هزيمة بني أمية، فاستطاعت بطلة كربلاء أن تثأر لأخيها الشهيد العظيم وأن تسلط معاول الهدم على دولة بني أمية وكل دولة تقوم على الظلم حتى يأمر الله بخروج قائم آل محمد الحجة بن الحسن (عج)، ولله در الشيخ جعفر نقدي حيث أنشد يقول بحق سيدة الطف ما نصه:

عقيلة أهل بيت الوحي بنت
الوصي المرتضى مولى الموالي
شقيقة سبطي المختار من قد
سمت شرفًا على هام الهلال
حكت خير الأنام عُلًا وفخرًا
وحيدر في الفصيح من المقال
وفاطم عفة وتقى ومجدًا
وأخلاقًا وفي كرم الخلال
ربيبة عصمة طهرت وطابت
وفاقت في الصفات وفي الفعال
فكانت كالأئمة في هداها
وإنقاذ الأنام من الضلال
وكان جهادها بالليل أمضى
من البيض الصوارم والنصال
وكانت في المصلى إذ تناجي
وتدعو الله بالدمع المذال
ملائكة السماء على دعاها
تؤمن في خضوع وابتهال
روت عن أمها الزهراء علوما
بها وصلت إلى حد الكمال
مقامًا لم يكن تحتاج فيه
إلى تعليم علم أو سؤال
ونالت رتبة في الفخر عنها
تأخرت الأواخر والأوالي
فلولا أمها الزهراء سادت
نساء العالمين بلا جدال

---

١) مقاتل الطالبيين / أبو الفرج الأصفهاني ص٦٠

٢) للتعرف على نص الخطبة راجع :الإرشاد/ الشيخ المفيد ج٢ ص١١٦

٣) الأمالي للشيخ الطوسي ص٩٢

٤) مقاتل الطالبيين / أبو الفرج الأصفهاني ص٨٠

٥) بحار الأنوار/المجلسي ج٤٥ ص١٣٣

دلالة الاستفهام في خطب سيد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء

م . م عقيل جواد الياسري •
كلّيّة أصول الدّين الجامعة/المثنى

ينابيع

كان يوم عاشوراء ولم يزل يوماً ملحمياً خالداً في نفوس المؤمنين لما تضمنه من أبعاد إنسانية رسمت لكل الأجيال طريق الكرامة والخلود والعدل والحرية، وأصبح رمزاً لدحر الظلم والاستبداد والطغيان في كل زمان، وصارت كربلاء قبلة للأحرار والثوار في كل مكان حتى قيل إن (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء) ولا ريب أن الذي أسس لهذا الخلود، وركّز لهذا البقاء هو ذلك الهدف الرسالي العظيم والنهضة الإصلاحية الكبيرة التي جسدها سيد الشهداء وضحّى لها بتلك الدماء الطاهرة التي سالت في ذلك اليوم الدّامي حتى صارت هذه الدماء قرابينَ حق، ورموز فداء، ومنارات أمل، ومشاعل هدى، تستضيء بها النفوس التي تبحث عن الخير والسعادة على مدى الأجيال.

لو رجعنا قليلاً إلى الوراء نقلّب صفحات ذلك اليوم ونستعرضُ مواقفه الكثيرة، وهو يومٌ لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه، ولا تحصى جولاته، ولا تعد بطولاته، فلعلنا نستزيد من الحكمة أو نتعلم من دروس الصبر والإباء، ونستلهم معاني السمو والكمال في هذه المدرسة المعطاء الكبيرة، ولنقف بإمعان عند خُطب مَنْ روحي وأرواحُ العالمين له فداء في ذلك اليوم الرهيب، فالمتأمل فيها يجدُ استخدام الإمام المظلوم لأسلوب الاستفهام بشكل ملحوظ ولافت للنظر مما يجعلنا نبحثُ عن السرّ في ذلك والغاية منه، والاستفهام في أصل اللغة هو طلب حصول الفهم، قال ابن منظور (٧١١ هـ): ((استفهَمَهُ : سأله أن يفهمه وقد استفهمني الشيء فأفهمتهُ وفهّمتُهُ تفهيماً))[1]، وما ذلك ببعيد عن معناه في اصطلاح النحويين، فهو طلب الفهم أو استعلام ما في ضمير المخاطب، أو طلب حصول صورة الشيء في الذهن[2]، وهو مصدر الفعل استفهم،

وسبيل تحقيق حصول الفهم إنّما يتحقق بوساطة أدوات الاستفهام لذا قالوا: ((ويُستفهم بأسماء غير ظروف، وبظروف، وبحروف، فالأسماء: من وما وأي وكم والظروف: متى وأين وكيف وأي حين وأيان وأنى، والحروف: الهمزة وأم وهل))[٣]، ويرى النحويون أن الهمزة هي أم الباب في الاستفهام، قال سيبويه(١٨٠ هـ): ((لأنها حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره، وليس للاستفهام في الأصل غيره))[٤] لذا فهي قياساً إلى غيرها من أدوات الاستفهام تكون أوسعَ استعمالاً ((والهمزة أعمُّ تصرفاً في بابها من أختها تقول: أزيد عندك أم عمرو؟ وأزيداً ضربت؟ وأتضرب زيداً وهو أخوك ؟))[٥].

من جانب آخر قالوا إن الاستفهام إنما يكون عن شيء مجهول عند السائل وهذا معنى تسميته استفهاماً حقيقياً، فـ((حقيقة الاستفهام هي طلب الفهم، فأنت تسأل المخاطب عمّا لا تعلمه، فتقول: ما عندك؟ ، ومن رأيت؟ وذلك طلباً للعلم به، ولكن الاستفهام قد يخرج عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام))[٦] أي إنه في بعض الأحيان قد يخرج إلى أغراض أخرى ولا يراد به طلب حصول الفهم وهذا معنى تسميته استفهاماً مجازياً، وتتنوع هذه الأغراض فقد تكون للنفي والتعجب والتقريع والتقرير... وغيره من الأغراض الأخرى التي يذكرها البلاغيون، والاستفهام قد يدخل على الجملة المثبتة كما تقول : أتكتب درسك؟ ، وقد يدخل على الجملة المنفية كما تقول : ألم تكتب درسك؟وعندها يُجابُ عن هذا الاستفهام في حال الإثبات بـ(بلى)، وفي حال النفي بـ

(نعم).

خطب سيد الشهداء في يوم عاشوراء الدامي كانت تدور مضامينها حول الوعظ والإرشاد والتذكير بعذاب الآخرة، وتبحث عن العلة من اجتماع هذه الحشود الكبيرة في كربلاء لقتاله، لذا فهي من باب إلقاء الحجة على الآخر، وقد أجملها السيد العلامة الحجة عبد الرزاق المقرم في كتابه مقتل الحسين عليه السلام بقوله: ((فعرفَّهم أولاً خسارة هذه الدنيا الفانية لمن تقلب فيها فلا تعود عليهم إلّا بالخيبة، ثم تراجع ثانياً إلى التعريف بمنزلته من نبي الإسلام وشهادته له ولأخيه المجتبى بأنهما سيدا شباب أهل الجنة، وناهيك بشهادة من لا ينطق عن الهوى وكان محبواً بالوحي الإلهي أن تؤخذ ميزاناً للتمييز بين الحق والباطل، وفي الثالثة عرفَّهم بأنه يؤدي كل ما لهم عنده من مال وحرمات، وفي الرابعة نشر المصحف الكريم على رأسه ودعاهم إلى حكمه))[٧]، والمتأمل فيما ورد في هذه الخطب من الاستفهام الذي تنوع بين المثبت والمنفي يجد غلبة استعمال الهمزة في محاوراته عليه السلام مع أهل الكوفة، وما يُلحظ أيضاً أن هذا الاستفهام لم يكن استفهاماً حقيقياً، بل خرج إلى أغراض أخرى متنوعة لعل أهمها وأولاها هو التقرير الذي يُرادُ به إلقاء الحجة على هذا الجمع الضال المنحرف عن صراط الحق القويم، وسبيل الرشاد المستقيم، وهذا جانب من عباراته (سلامُ الله عليه) يوم وُلدَ ويوم يموتُ ويوم يُبعثُ حيًّا:

قال: (فانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟) استفهام بـ(هل)، المراد منه التعريف بحرمة نفسه الشريفة، فيكون الغرض منه النفي، أي إنه لا يحل لهم فعل ذلك وارتكابه، أو لعل الغرض منه التعجب، أي يتعجب من حال أولئك النفر الذين لا يرعون حرمة الأولياء وأولاد الأنبياء ويقدمون على مثل هذا الأمر الفظيع، ثم يبدأ عليه السلام بسلسلة متتالية من الاستفهامات التي أراد بها التقرير بنفسه ونسبه ومكانته الواضحة من الوحي وأهله نقتطف منها قال: (ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه؟) ثم قال: (أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟) ثم قال: (أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟) ثم قال: (أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟).

ثم بدأ يلتمس فيهم من سمع المقالة فيه وفي أخيه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يصدق دعواه فقال: ((سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم أو انس بن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي))، ثم عاد يستفهم على سبيل التوبيخ والتقريع، قال: (أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟) ثم عاد يستفهم مرة أخرى مستغرباً ومتعجباً، قال: (أفتشكّون أني ابن بنت نبيكم؟) فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم،

أنا ابن بنت نبيكم خاصة، أخبروني: (أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟)، وأي تقريع وتوبيخ أعظم من هذا لنفر يبدون العدواة والبغضاء ويقتلون الأبرياء بلا ذنب أو جريرة، ومع هذا السيل من الاستفهامات التي تضمنت الحجج البالغة على القوم إلّا أنهم أعرضوا عنه وأخذوا لا يكلمونه.

ثم عاد فنادى نفراً منهم فصاح روحي فداه على سبيل التقرير مع فرط تعجبه من عصيانهم وإنكارهم: يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث (ألم تكتبوا إليَّ أن قد أينعت الثمار، واخضر الجناب، وطمت الجمام، وإنما تقدم على جند لك مجندة فاقبل) لكن حب الدنيا أخرسهم فقالوا: لم نفعل، فقال: سبحان الله بلى والله لقد فعلتم، ثم عادوا ليساوموه لعلهم ينالوا منه القبول والرضوخ لأهل البغي، فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلّا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه، فقال له الحسين عليه السلام: أنت أخو أخيك، (أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟) ثم أطلق صرخته المدوية التي أصبحت شعاراً لكل الثائرين (لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد)[٨]. ثم عاد يكلمهم موبخاً (**أحين استصرختمونا ولهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفًا لنا في أيمانكم وحششتم علينا نارًا أججناها على عدوكم فأصبحتم البًا لأوليائكم ويدًا عليهم لأعدائكم**) ويستمر الخطاب الاستفهامي الذي لا يخلو من التعجب، قال: (أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون)، أجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم وثبتت عليه قلوبكم وغشيت صدوركم فكنتم أخبث ثمر شجا للناظر وأكلة للغاصب ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيده[٩].

ثم انفتل نحو قائد جمع الضلالة المنحرف الأثيم، عبد الدنيا وأسير الهوى ليخبره بمصيره الأسود المحتوم في قالب استفهامي لا يخلو من الحكمة والبلاغة فخاطب عمر بن سعد: قائلاً: (أ تزعم أنك تقتلني) وتزعم أن يوليك الدعي ابن الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تهنأ بذلك أبداً عهداً معهوداً فاصنع ما أنت صانع فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة ولكأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضًا بينهم [١٠].

فكان كما قال وأخبر به، وهذا مصيره ومصير كل ظالم مهما تطاولت به الأيام .

خلاصة القول:

الاستفهام الوارد في خطب الإمام الشهيد جاء مثبتاً ومنفياً، ومن الواضح أنه لم يكن في الغالب استفهاماً حقيقياً، بل خرج إلى أغراض متنوعة منها: التقرير، التعجب، التوبيخ، النفي... وغيرها إذ ليس المقام مقام السؤال عن الشيء المجهول، كما يلاحظ فيه استعمال الهمزة بكثرة، وهي كما تقدم أم الباب، والأصل في الاستفهام، والغاية الرئيسة التي كان يتوخاها الإمام من

هـذه الخطب هـي التعريف بنفسه الشريفة ومنزلته عند الرسـول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأنه داعية إصلاح ورسـول حق، وقد وضعها (سلام الله عليه) في قالب استفهامي لا يخلو مـن النكت البلاغيـة ليكـون أوثق في الاعتبار، وأعمق في النصح والتوجيه، فهي من باب توضيح الهدف والمقصد، وإلقاء الحجة علـى الخصوم، وهذا ما يبـرر لنا أن هـذه الخطب قد سـبقت المعركة واحتـدام القتال بين الإمام عليه السلام وشيعة آل أبي سفيان، فقد قطع القتال البيان وحلّت السـيوف والسـهام محلّ العبارات والكلام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ■

---

١) لسـان العـرب، ابن منظـور ١٢ : ٤٥٩ مادة (فهم).

٢) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الانصاري١: ٧٠، ومعجـم التعريفات، الشـريف الجرجاني: ١٨.

٣) اللمع في العربية، ابن جني: ١٤٩.

٤) الكتاب١، سيبويه : ٩٩.

٥) المفصّل في العربية، جار الله الزمخشـري: ٣١٩.

٦) اسـاليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د قيس الاوسي: ٤١١

٧) مقتل الحسين، السـيد عبد الرزاق المقرم: ٨٣ – ٨٤.

٨) تاريـخ الطبري/محمد بن جرير الطبري ج٤ ص٢٢٢.

٩) أعيان الشيعة / الأمين ج١ ص٦٠٢.

١٠) مقتل الحسين/ للسيد المقرم ص ٢٥٢ :

عن داود الرقي، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذا استسقى الماء، فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه، ثم قال لي: يا داود لعن الله قاتل الحسـين عليه السلام، فما من عبـد شرب الماء فذكر الحسـين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتـب الله له مائة ألف حسـنة، وحط عنه مائة ألف سـيئة، ورفع له مائة ألـف درجة، وكأنـما أعتق مائة ألف نسـمة، وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد.

(كامل الزيارات ص ٢١٢)

الشيعة في أثيوبيا

أثيوبيا...هي الأرض الأولى التي وطأتها أقدام المسلمين، وتعرفت إلى هذا الدين العظيم قبل أن ينتشر في الجزيرة العربية. وأولئك المهاجرون الأوائل هم أول من استقر من المسلمين في تلك البلاد، وتوطّن ونشر الإسلام في تلك الربوع، حتى إن ملكها (أصحمة النجاشي) وعدداً من أصحابه دخلوا الإسلام وكتموا أمرهم خوفاً من تعصب البلاط النصراني. ولاقتراب المنطقة من الأراضي الإسلامية المقدسة، كان تأثير الإسلام عليها واضحاً. وقد ساعد هذا القرب الجغرافي على انتشار الإسلام في المنطقة، ازداد انتشار وتعاظم عدد المسلمين في القرن الخامس الهجري، حيث أسس المسلمون دولتهم في هذه ا لمنطقة واتخذوا من مدينة هرر عاصمة لهم.

ولقد توغل المسلمون بعد ذلك في الأراضي الإثيوبية وكان معظمهم من الدعاة التجار الذين ينتمون إلى القبائل النازحة من الجزيرة العربية. أما في العصر العباسي ، فقد هاجرت مجموعات مضطهدة من أنصار أهل البيت عليهم السلام إلى تلك الأرض واستطاعت أن تنقل القبائل الإثيوبية الوثنية إلى الإسلام وساعدت على إنهاء الصراعات القبلية، ومنذ ذلك الحين انفصلت اريتريا عن إثيوبيا وحكمت بالإسلام كما هو شأن الأراضي الصومالية.

وكان لسيطرة المسلمين على الطرق التجارية المهمة اثر كبير في انتشار الإسلام. وفي القرن العاشر الهجري ، ازداد قلق المسيحيين والأحباش من انتشار الإسلام فبعثوا برسائل إلى كل من الفاتيكان وبريطانيا وروسيا وأسبانيا يطلبون فيها تزويد المسيحيين بالسلاح لإيقاف الزحف الإسلامي وإبادته، مدعين بأنهم محاصرون ببحر إسلامي يهدد كيان المسيحية في البلاد.

بدأ الأحباش حربهم الغادرة على إمارة هرر الإسلامية ووصلوا إلى مشارفها فتصدى لهم المسلمون وردوهم على أعقابهم ، ثم أعدّوا لهم جيشاً قوياً وزحفوا به حتى وصلوا مدينة أكسوم عاصمتهم آنذاك . ولا يزال المسلمون يشكلون الأكثرية بين سكان أثيوبيا الذي يبلغ ٦٠ مليون نسمة ففي العاصمة أديس أبابا وحدها تتراوح نسبة المسلمين من ٣٠ إلى ٣٦٪ من مجموع السكان ولا زالت اللغة العربية الرسمية في خمس ولايات من بين ثلاث عشرة ولاية. وللمسلمين هناك مجلس يتولى إدارة شؤونهم الدينية حيث يشرف على (١٦٠) مدرسة و (١٧) مسجداً.

توجد في إثيوبيا حركة استبصار قوية ناتجة عن احتكاك عدد كبير من الإثيوبيين بالشيعة في البلدان المجاورة لهم وبالخصوص في كينيا وتنزانيا، وقد بلغ التشيع أقصى مدى له في عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٠ حيث بلغت نسبة الشيعة حوالي ٤٠٪ من المسلمين في أثيوبيا، بعد قيام عدد من المدارس الدينية بجهود مكثفة لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الشيعة، فأتت الجهود بثمارها بصورة لا زالت ملفتة للنظر حتى اليوم.

الإمام الحسين عليه السلام...
وتشخيص أسباب الفشل والانحطاط التي أصابت الأمة كمجتمع وأفراد

د. محمد كاظم الفتلاوي •
كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة

ينابيع

من المعلوم أن دور أهل البيت عليهم السلام في الأمة هو عينه دور القرآن الكريم في بث التوعية والدعوة إلى الحياة الكريمة، ولا يمكن أن تتحقق هذه الأهداف إلا بعد تشخيص العوامل التي تعيق النهضة الصحيحة وفق معطيات البُعد القرآني على مستوييه الفردي والاجتماعي، ومن ذلك ما نلحظه في مقطوعة رائعة من روائع خطب الإمام الحسين عليه السلام وهي تشخص الأسباب التي تؤدي إلى الفشل والانحطاط والابتعاد عن روح تعاليم السماء، ومن ثم نجد أن هذه الأسباب تضفي على الجانب الروحي ظلام لا يفتأ أن يحجب الإنسان (فردًا أو مجتمعًا) عن سُبل السلام والحياة الكريمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى وأرسل رسله وأنبياءه والصالحين من عبادة لتحقيق هذا الهدف السامي.

فنلحظ الإمام الحسين عليه السلام وهو يخاطب المنحرفين عن الإسلام المحمدي الأصيل في تشخيص قصير في مفرداته الكبير في معانيه؛ فيقول عليه السلام:

(فلا مالاً بذلتموه ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها ولا عشيرةً عاديتموها في ذات الله)[1].

فنجد من جملة التشخيصات عند تحليل كلامه عليه السلام هي:

١- الشح: من أسباب الانحطاط والانحراف التي تصيب الإنسان الفرد والمجتمع هو الشح، والإمساك عن البذل فيما خولنا الله سبحانه من النعم، ومن هذه النعم هو المال، وقد نبه القرآن الكريم أن الإنسان تارك ما خُوّل، فقال تعالى: (**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**...) (الأنعام: ٩٣)، ومعنى ذلك أن (الأموال التي وهبناها لكم وكنتم تستندون إليها في حياتكم، قد خلفتموها وراءكم وجئتم صفر الأيدي)[2] فإذا علم الإنسان هذه الحقيقة وواقعيتها، أدرك أن سبب هذا

الإمساك وعدم البذل هو الحرص، والحرص من أسباب الشقاء والعناء في هذه الحياة، يقول الإمام علي عليه السلام: (الحرص عناء مؤبد)[٣].

وبأدنى ملاحظة عندما ندرس حالات الذين يعيشون الحرص والطمع في حركة الحياة نرى مدى التعب والشقاء الذي يعيشه هؤلاء ليلاً نهارًا في سبيل جمع الأموال والزخارف الدنيوية من دون الاستفادة منها، ومن ثم الانشغال بهذه الحياة ومتعها وبالتالي التعلق فيها وعدم المبالاة في الوقوف مع الحق أو نصرته، بل الوقوف ضد الحق ومن ذلك موقفهم من الإمام الحسين عليه السلام، وما دعى إليه من إحقاق الحق .

وما ذاك إلا أن (الحرص من الأمور التي تؤدي إلى الكثير من الذنوب والخطايا والقبائح منها عدم مراعاة الحلال والحرام وترك احترام حقوق الآخرين والتلوث بأنواع الظلم والجور والعدوان)[٤].

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الحسين عليه السلام لم يحصر خطابه فقط في أهل الحرص، أو الذين يؤدون حقوقهم الشرعية (خمس وزكاة) بل (يقصد شيئاً غير الحقوق الواجبة، لان بقاء الدين في بعض الأحيان يحتاج إلى الإنفاق من الأموال الشخصية، وحينئذ ليس من الصحيح أن نقول إننا قد أدينا حقوقنا الواجبة وليس على عاتقنا حق آخر)[٥]، فكان عليكم تحصين أنفسكم والأجيال واستثمار الأموال في سبيل الله، وما سبيل الله إلا سبيل الإنسانية، والإسلام والعترة الطاهرة هما عين الإنسانية وقيمها، والإمام الحسين عليه السلام في خطابه للناس يبين أن من أسباب الانحراف هو عدم بذل المال، إذ كان من المحتم (أن تنفقوا من أموالكم في سبيل نشر الإسلام والحيلولة دون انتشار البدع والتصدّي لأصحاب البدع، ولكنكم لم تفعلوا شيئاً من ذلك)[٦]

فكان أن انحرفت الأمة عن سواء السبيل ، وهل يوجد أشد وأقسى انحراف من أن تقتل ابن بنت نبيها !

٢- الحرص على الحياة: والملاحظ أن من أسباب الانحراف عن الدين والقيم السماوية، هو إيثار السلامة، فيقول عليه السلام: (... ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها ...)، والتخاذل عن التضحية من أجل المبادئ لا يقل خطراً من عدم الإنفاق في سبيل الله تعالى.

ومراد الإمام عليه السلام في المخاطرة بالنفس هو التصدي لإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو الهدف الهام الذي ابتعث الله له النبيين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وإنا لله إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب علمه وعمله وانمحق بالكلية رسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم .

فكان أن سعى الإمام الحسين عليه السلام قولاً وعملاً في إقامة هذه الفريضة، عائباً على الناس وعلمائهم إهمالها وتعطيلها، وحاثاً عليه السلام لتلافي هذه الفترة والسعي لسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه الفريضة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمراً في إحيائها .

وقد اثنى القرآن المجيد على القائمين بهذه الفريضة، بل إن خيرية هذه الأمة كانت بسبب قيامهم بهذه الفريضة، قال تعالى: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**) (آل عمران: ١١٠) .

يقول الشيخ الطبرسي (ت ٥٣٨هـ): أي (صرتم خير أمة خُلقت ؛ لأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وإيمانكم بالله، فتصير هذه الخصال على هذا القول شرطاً في كونهم خيراً) [٧].

واستدل الفقهاء بهذا الثناء الذي انحصر بهذه المزايا الثلاث على الوجوب (فمدحهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما مدحهم بالإيمان بالله تعالى، وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٨].

وأن القيام بهذه الفريضة كان مما يتعلق به حفظ كيان الإسلام والحرمان، وبالتمعن في مقولة الإمام الحسين عليه السلام لا يمكن أن (نتصور أن شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أن لا يُلحق بالإنسان ضررا)[٩]، فهذا يعني أنه كان يجب عليكم أن تخاطروا بأنفسكم في سبيل قيم السماء، حتى وإن بلغ في هذه المخاطرة إلى القتال والقتل، فهذه سُنة الأولياء والعظماء وما الإمام الحسين عليه السلام إلا تجسيد حيٌ لقيم السماء وتعاليم القرآن المجيد، وهو الامتداد الطبيعي للذرية الصالحة ولمنهج النبي صلى الله عليه وآله ووصية أمير المؤمنين علي عليه السلام، إذ يقول الإمام علي عليه السلام: (... إن الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون

عن المنكر، فوجدت القتال أهون علي من معالجة الأغلال في جهنم)[١٠].

٣- العلاقات القومية والفئوية:يوضح الإمام الحسين عليه السلام أن الالتفاف حول العشيرة والقومية بكل سلبياتها وتبني أفكارها وتقاليدها أمام مبادئ الإسلام ومرضاة الله تعالى من عوامل الانحراف عن الدين، فقال عليه السلام: (ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله) .

إذ كانت العلاقات القومية والعشائرية في ذلك الزمان أصلاً من أصول الثقافة العربية، وكذا(اليوم حيث يُلاحظ وجود مثل هذه العقليات والترابط القومي والعشائري وتعصّبات الأقارب بين الناس الذين يعيشون الأجواء القبائلية)[١١].

فمن المعلوم حث الإسلام على صلة الرحم ووجوبها، والتقارب بين أفراد العشيرة الواحدة أو العائلة، ولكن لا يمكن أن تكون هذه الصلة وهذا التقارب على حساب المبادئ وصلة الدين التي هي أكبر وأهم من أي صلة أخرى، إذ (إن الواجب الشرعي يقتضي أحياناً أن يعادي الإنسان أبناء عشيرته وأقربائه)[١٢].

وهذا العداء للمبادئ المنحرفة عن الدين ومنهج الإسلام القويم من علامات المؤمنين الرساليين، وهذا واضح في وصف القرآن لهم، قال تعالى: **(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ)** (المجادلة: ٢٢).

فأولئك المنحرفون الذين خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام قد خالفوا ما وجه به القرآن المجيد ونبه إليه، فكانوا (يوالون من خالف الله ورسوله، والمعنى لا تجتمع موالاة الكفار مع الإيمان، والمراد به الموالاة في الدين)[١٣] لا الموالاة تحت عنوان العشيرة والقومية، والبراءة والمعاداة تكمن في حقيقتها في الترك القلبي والفعلي للكافرين والظالمين والفاسقين، وعدم اتباع مناهجهم وسلوكياتهم وأفكارهم الضارة بالدين والمجتمع.

ولا يمكن بحال من الأحوال أن نعوّل على العشائرية والقومية في رص الصفوف وتوحيد الكلمة، إذ (صارت القوميّة هذه جسراً من جسور الاستعمار، ومعبراً صالحاً إلى بلادنا، وبسلاح العروبة نفسها طعنت الأمة العربية المسلمة بخنجر مسموم واغتصبت فلسطين السليبة)[١٤].

وبعد هذا وجب علينا نحن المسلمين أن لا نقاتل من موقع وطني ولا نحارب من موقع حزبي أو عشائري، ولا من أي موقع قومي أو جغرافي أو تقدّمي، وإنما نقاتل من موقع الإيمان بالله سبحانه، نقاتل من أجل إعلاء كلمة الله، نقاتل أعداء الله من أي لون أو جنس كانوا.

إذن التقوى هي المقياس في الأعمال كافة، وبها معيار القيم السماوية وإن أخذت بعض القيم الكاذبة حيزاً في البناء الاجتماعي، وأصبحت من أبرز سماته، فكان أن ترى جماعة أن قيمتها الواقعية في الانتساب إلى القبيلة المعروفة، وهذا الافتخار بالقبيلة على حساب الدين ليس محصورًا على زمن الجاهلية فحسب، بل امتد إلى زمن خطبة سيد الشهداء عليه السلام، وهكذا (نجد رواسب هذه الجاهلية في أعماق نفوس الكثيرين من الأفراد والمجتمعات !!)[١٥].

فالإسلام حارب العصبية الجاهلية

في أي شكل كانت وفي أي صورة ليجمع المسلمين في العالم من أي قوم وقبيلة وعرق تحت لواء واحد، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** (الحجرات: ١٣).

وبطبيعة الحال لا يعني هذا نبذ الخصوصية مطلقاً، ولكن هو التأكيد على أن المائز هو التقوى، ولعل أبلغ تعبير عن هذه الفكرة، ما ورد في الحديث عن الإمام علي بن الحسين (السجاد)عليه السلام حول العصبية للقومية، قال إن: (العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعيّن قومه على الظلم)[١٦].

وبكلمة أخيرة ... إن الإمام الحسينعليه السلام في هذا المقطع من خطبته شخص أبرز مظاهر الانحراف عن قيم السماء، وكذلك أكدعليه السلام على الأهمية البالغة في نبذها فهي من أخطر عوامل الضلال والإضلال، وإن العامل على مجاهدة هذه الظواهر ممن رسخ في نفسه جوهر الإسلام بما فيه من مبادئ عالية المضامين، ومن ثم يكون على الخط الذي شرعه الله سبحانه وسار على منهج سيد الشهداءعليه السلام، وبما أن صراع الحق مع الباطل لا يقف عند حدود زمانية معينة، فإن الإمامعليه السلام أبلغ في مضامين خطبته عصرنا الحاضر وزماننا الشاهد، وهو بهذا حجة دامغة علينا.

والحمد لله رب العالمين ■

---

١) المجلسي، بحار الأنوار، ٧٩/١٠٠ .
٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٦٦/٤ .
٣) الريشهري، ميزان الحكمة، ٥٨٦/١ .
٤) ناصر مكارم الشيرازي، الأخلاق في القرآن، ٨٠/٢ .
٥) محمد تقي مصباح اليزدي، بارقة من سماء كربلاء، ص١٢٩ .
٦) المصدر نفسه .
٧) مجمع البيان، ٢٧٧/٢ .
٨) المفيد، المقنعة، ص٨٠٨ .
٩) محمد تقي مصباح اليزدي، بارقة من سماء كربلاء، ص١٣٠ .
١٠) المجلسي، بحار الأنوار، ٥٢٦/٣٢ .
١١) محمد تقي مصباح اليزدي، بارقة من سماء كربلاء، ص١٣١ .
١٢) المصدر نفسه، ص١٣٤ .
١٣) الطبرسي، مجمع البيان، ٣٠٥/٩ .
١٤) د. حسين الحاج حسن، الرسالية في الثورة الحسينية ، ص١١٩ .
١٥) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٠٩/١٦ .
١٦) الكليني، الكافي، ٣٠٨/٢ .

لبيك يا حسين
صلى الله عليك يا أبا عبد الله
السلام على الحسين
وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين

من وحي النهضة الحسينية

م.م.أحمد جاسم ثاني الركابي •
كلية التربية ـ القرنة/جامعة البصرة

ينابيع

انطلقت النهضة الحسينية من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو من الفرائض الهامة التي أمر الإسلام بإقامتها، (**وَلْتَكُن مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) (آل عمران: ١٠٤)، وقد حذّرنا رسول الله صلى الله عليه وآله من مغبة ترك هذه الفريضة بقوله: ((**لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيَسْتَعْمِلَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ فَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ**))[١].

ولما رأى الإمام الحسين عليه السلام أن الدنيا قد تغيَّرت وتنكَّرت وأدبر معروفها، وأن الحق لا يُعمَلُ به وأن الباطل لا يُتَناهى عنه، رغب في لقاء الله تعالى: ((**فَإِنِّيْ لَا أَرَى المَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَلَا الحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِيْنَ إِلَّا بَرَمَاً**))[٢]، على الرغم من أنه كان يعلم بما سيحصل له (**وَخَيْرَ لِيْ مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيْه، كَأَنِّيْ بِأَوْصَالِيْ تُقَطِّعُهَا عُسْلانُ الْفَلَوَاتِ بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاءَ**))[٣]، ويعلم أنه سيواجه الظلم مع قلة الناصر، وتخاذل الأمة عن نصرة الحق، ((**إِنَّ النَّاسَ عَبِيْدُ الدُّنَيَا وَالدِيْنُ لَعِقٌ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوْطُوْنَهُ مَا دَرَّتْ مَعَائِشُهُمْ فَإِذَا مُحِّصُوْا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَيَّانُوْن**))[٤].

فلم يثنِ ذلك عزمه عليه السلام، ((وانطلق مع قلة الناصر إلى ساحات الجهاد ليرفع كلمة الحق، ويدحض كلمة الباطل، وقد حشَّدت عليه الدولة الأموية جيوشها الهائلة، فلم يحفل بها))[٥]، وأعلن عن عزمه وتصميمه بكلمته الخالدة قائلاً: ((**وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً، وَلا بَطِراً، وَلا مُفْسِداً، وَلا ظالِماً، وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدّي** صلى الله عليه وآله، **أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدّي وَأَبي عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ** عليه السلام، **فَمَنْ قَبِلَني بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللهُ أَوْلى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هذا أَصْبِرُ حَتّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْني وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ،**

وَهُوَ خَيْـرُ الْحاكِميـنَ))[٦]، فلم تكن نهضته مجرد حادثـةٍ وقعت في التاريخ ثم انتهت، وإنما هي نهضة متجددة على مر العصـور، ولا زالت تمدنـا بالعطاء والقوة والعزيمة والقدرة، شـأنها شأن القرآن الكريم الذي لا يختص مضمونه بعصر النزول، وإنما يتجدد في كل عصر ويعالج قضايا كل زمان، فالحسـين عليه السلام هو قرآن ناطق، وكذلك قضيته وحركته هي لكل عصر[٧].

محاربة الفساد من أهم أهداف الثورة:

بيَّن الإمام الحسين عليه السلام في بعض خطبه ورسـائله وهو في طريقه إلى كربلاء أن نهضته المباركة تستهدف محاربة الفساد الذي كان يمثّل السمة البارزة في حكومة بني أميـة، ((**أَلا وَإِنَّ هـؤُلاء قَدْ لَزِمُوا طاعَةَ الشَّيْطانِ، وَتَرَكُوا طاعَةَ الرَّحْمنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسادَ**))[٨]، فلابد حينئذٍ من الوقوف بوجه هذا الفسـاد ومحاربته؛ لأن السـكوت عنه يؤدي إلى فساد عامة الأرض، (**وَإِذَا تَوَلَّى سَـعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِـدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَـادَ**) (البقرة: ٢٠٥)، ومن جهة أخرى بيّن عليه السلام أن هذه الحرب هـي واجـب شـرعي على كل مسـلم، مسـتدلاً بقـول رسـول الله صلى الله عليه وآله: ((أيُّها النـاس ، إنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله قـال: من رأى سـلطاناً جائراً مستحلاً لحُرَم الله، ناكثـاً لعهد الله، مخالفاً لسُـنّة رسـول الله صلى الله عليه وآله، يعمـل فـي عبـاد الله بالإثـم والعـدوان فلم يغيّر عليـه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله))[٩].

ولما وقع الانحراف الواسع عن القيم والأسس الإسـلامية بما ظهر من فساد وشـيوع لظواهـر اجتماعيـة آخذة في الانتشـار على حساب القيم الإسلامية، وجـد الإمام الحسـين عليه السلام نفسـه ملزمًا بالقيام بواجبه، وذلك من خلال إحداث تلكـم الهزّة النفسـية في مجمـوع الأمّة للرجوع عن غيّها، ولإحياء ضمائر هؤلاء القوم الذين غفلوا عن حقيقة واقعهم[١٠].

إذن فالثورة التي قادها الحسـين عليه السلام

كانت تأدية لواجب شرعي، متمثّلاً بوجوب الثورة على كل مسلم حال رؤية الفساد وتفشيه في جذور المجتمع الإسلامي، ولاسيما إذا أدى إلى تغيير كلي في أحكام الإسلام[11].

وما أحوجنا اليوم إلى تأدية هذا الواجب الشرعي، والوقوف بوجه الفساد الذي يعم مجتمعاتنا، ولاسيما إذا علمنا بأن النهضة الحسينية تمثّل نبراساً لسائر النهضات التحررية في العالم ضد الظالمين، وهي الانفجار العظيم الذي هزَّ عرش كل الطغاة المستبدين، كما مهَّدت الطريق أمام الثورات وهيَّأت الأسباب لقلع جذور دولة بني أمية وبني العباس وغيرهما، ولا تزال إلى يومنا هذا.

قلة الناصر وتخاذل الأمة:

ذكر الإمام الحسين عليه السلام في إحدى رسائله لأشراف الكوفة: ((وَقَدْ أَتَتْنِي كُتُبُكُمْ وَقَدِمَتْ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ بِبَيْعَتِكُمْ، أَنَّكُمْ لا تُسْلِمُونِي ولا تَخْذُلُونِي، فَإِنْ تَمَّمتُمْ عليَ بَيْعَتِكُمْ تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ ... وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتِي مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، فَلَعَمْرِي ما هيَ لَكُمْ بِنُكْرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوها بِأَبِي وَأَخِي وَابْنِ عَمِّي ..))[12]، يتضح من كلامه عليه السلام أنه كان يعلم بأن القوم الذين كاتبوه واستقدموه سيخذلونه ولا ينصرونه، لأنهم فعلوها من قبل بأبيه علي وأخيه الحسن وابن عمه مسلم عليهم السلام، وهو حينما نهض وأعلن عن السبب الحقيقي لنهضته، الذي يتلخّص بحديث جده رسول الله صلى الله عليه وآله: "من رأى سلطاناً جائراً ..." أراد من ذلك أن ينبّه الغافلين المستكينين إلى ذلهم وهوانهم، ويقول لهم: انتبهوا معشر الناس! إن الساكت عن الظلم بعدما رآى ما رآى، وأُلقيت عليه الحجة هو شريك للظالم الجائر[13][14].

إن هؤلاء القوم المتخاذلين كان لهم ضمير حي، ويتحسّسون الظلم والمأساة والآلام، ويدركون الحق، وقد عبّر الفرزدق عن هذا الضمير بقوله للحسين عليه السلام: (القلوب معك والسيوف مع بني أمية)، ولكنهم في الوقت نفسه فاقدوا الإرادة. وفقدان الإرادة له أسبابه؛ كالخوف من الطغاة والضعف أمامهم، وجهل الحقيقة وفقدان الرؤية الصحيحة بسبب التضليل الإعلامي الذي يمارسه الأعداء لتشويه الحقائق، وكذلك اليأس والقنوط من تحقيق الأهداف الذي يؤدي إلى عدم جدوى الحركة والتصدي، فضلاً عن الإغراء بالأموال والمناصب وشراء الضمائر[15].

وما نراه اليوم من سكوت الأغلبية عن الفساد ما هو إلا فقدان للإرادة، وللأسباب ذاتها، فكأن التاريخ يعيد نفسه! فما أقل الناصر والمعين على محاربة الفساد! وكأن الحسين عليه السلام إلى الآن ينادي: ألا من ناصر ينصرنا؟ فما يسمع من مجيب!

الصبر والتوكل على الله خير معين:

إن الإمام الحسين عليه السلام لم يعتمد في حركته على أحدٍ سوى الله تعالى، فقد أعلن عن توطين نفسه على لقاء الله تعالى، وعزمه على بذل مهجته في

سبيل الله ونصرة الحق وإحياء الدين الإسلامي الذي كادت أن تُدرس معالمه ويُعفَى أثره[١٦]، ولم يعبأ بقلة الناصر، وتخاذل الأمة عن نصرته؛ لأنه كان متوكلاً على الله تعالى (**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**) (الطلاق: ٣)، فكفاه الله تعالى، ولم يزل على هذا الحال حتى اللحظات الأخيرة من عمره عليه السلام: ((صَبْراً عَلى قَضائِكَ يا رَبِّ لا إلهَ سِواكَ، يا غِياثَ الْمُسْتَغيثينَ، ما لي رَبٌّ سِواكَ، وَلا مَعْبُودٌ غَيْرُكَ ...))[١٧].

وخير شاهدٍ على ذلك أنه لم يجبر أحداً من أصحابه على البقاء معه، بل أمرهم بالانصراف عنه ليحفظوا أنفسهم؛ لأن القوم لا يطلبون غيره: ((فَإِنّي لا أَعْلَمُ أَصْحاباً أَوْفى وَلا خَيْراً مِنْ أَصْحابي، وَلا أَهْلَ بَيْت أَبَرَّ وَلا أَوْصَلَ مِنْ أَهْل بَيْتي، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنّي جَميعاً خَيْراً، أَلا وَإِنّي لأَظُنُّ أَنَّهُ آخِرَ يَوْم لَنا مِنْ هؤُلاءِ، أَلا وَإِنّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَميعاً في حِلٍّ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنّي ذِمامٌ، هذا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً))[١٨].

والمتأمل في دعائه عليه السلام في صباح عاشوراء يدرك مدى الارتباط الوثيق بينه وبين الله تعالى، والتوكل عليه سبحانه، والتسليم المطلق إلى إرادته: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتي في كُلِّ كُرْبَة وَأَنْتَ رَجائي في كُلِّ شِدَّة وَأَنْتَ لي في كُلِّ أَمْر نَزَلَ بي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ، كَمْ مِنْ كَرْب يَضْعُفُ عَنْهُ الْفُؤادُ وتَقِلُّ فيهِ الْحيلَةُ ويَخْذُلُ عَنْهُ الْقَريبُ والْبَعيدُ ويَشْمَتُ به الْعَدُوُّ وتَعْيِني فيهِ الأُمُورُ أَنْزَلْتُه بِكَ وشَكَوْتُه إِلَيْكَ رَاغِباً فيهِ عَمَّنْ سِوَاكَ فَفَرَّجْتَه وكَشَفْتَه وكَفَيْتَنيهِ فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَة وصَاحِبُ كُلِّ حَاجَة ومُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَة))[١٩].

فقد ضرب أروع الأمثلة في الصبر والتوكل على الله، واللجوء إليه تعالى، دون أن يتردد أو تتزعزع إرادته، مهما رأى من آلام وتحمّل من مصائب، إلى أن جاد بنفسه الشريفة، وهو أقصى غاية الجود ■

---

١) الكافي /للكليني ج٥ ص٥٦ .
٢) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ابن شعبة الحراني: ٢٤٥.
٣) بحار الأنوار/العلامة المجلسي ج٤٤ ص ٣٦٧.
٤) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ٢٤٥.
٥) ينظر: حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي: ١/ ١١٢-١١٣.
٦) بحار الأنوار/المجلسي/ج٤٤ ص٣٢٩.
٧) ينظر: الإمام الحسين عليه السلام، السيد محمد باقر الحكيم: ٣٧.
٨) بحار الأنوار/المجلسي/ج٤٤ ص ٣٨٢.
٩) م.ن
١٠) ينظر: النهضة الحسينية، الشيخ عبد الهادي الفضلي: ٤٤-٤٥.
١١) ينظر: الثورة الحسينية خصائص ومرتكزات: ٨١.
١٢) تاريخ الطبري/محمد بن جرير الطبري/ج٤ ص٣٠٤.
١٣) تاريخ الطبري/محمد بن جرير الطبري/ج٤ ص٣٠٤.
١٤) ينظر: المنبر الحر، الشيخ عبد الحميد المهاجر: ١٦٤.
١٥) الإمام الحسين عليه السلام: ١٤٢-١٤٩.
١٦) ينظر: رؤى عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام: ١٠.
١٧) مقتل الحسين/المقرم ص٣٥٧.
١٨) الإرشاد/الشيخ المفيد ج٢ ص٩١
١٩) الكافي/للكليني ج٢ ص ٥٧٨.

نهضة الإمام الحسين عليه السلام في نظر ابن تيمية

د. فلاح رزاق الرماحي •
كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة

ينابيع

استأثرت نهضة الإمام الحسين عليه السلام بدراسات العلماء والمفكرين والباحثين من مسلمين وغيرهم ومن القدامى والمعاصرين، وكانت طبيعة تلك الدراسات ـ في الأغلب ـ تعنى بالجانب التحليلي وتسليط الضوء على شخوصها ومشاهدها والعوامل والأسباب المؤدية بحصولها، والقدر الجامع لتلك الدراسات والأبحاث هو الإشادة بعظمة تلك النهضة وصاحبها وأنها أنارت السبيل لأحرار العالم ومستضعفي الشعوب للانعتاق من أسر العبودية والخلاص من ربقة الذل والاستعباد، فضلاً عن استخلاص الدروس والعبر من تلك التضحية الجسيمة، والتأكيد على ما يتمتع به قائد تلك الحركة المباركة بكونه رضيع ثدي النبوة ولصيق حضن الإمامة، بما أكسب تلك النهضة عظمة تضاف إلى سلسلة العظائم الأخرى في دنيا الخلود والمجد، فهي امتداد لدور الأنبياء ورسالاتهم الإلهية في البلاغ والتحذير من العواقب والموعظة والفداء في سبيل المبدأ الحق ونصرة المظلوم وإعلاء كلمة الدين والإنسانية، أضف إليها ما جسده أبو الأحرار في ذلك المشهد العظيم من صور البطولة والتضحية والفداء والبذل واسترخاص الأرواح في سبيل العقيدة ونصرة الحق ورفعة الإسلام الأصيل، ما أذهل العدو قبل الصديق، وطبيعي جداً أن تنصف الأقلام الحرة والبحوث والكتابات المنصفة تلك النهضة للمعاني السامية والخصال النبيلة التي أفرزتها وجسدتها على أرض الواقع بما سطرته كتب التاريخ ودبّجته أقلام الدراسات، إلا ما شذّ من الآراء والأقلام المأجورة والكتابات الحاقدة من الذين أعمتهم العصبية عن رؤية الحق وطمست بصائرهم غشاوة الحقد والضغينة فجعلتهم يتخبطون في بيداء الوهم والضلال ويفقدون التوازن بعدم إبداء الحقيقة وكشف الواقع والدفاع عن الحق والعدالة، أمثال أنيس النصولي، وابن العربي صاحب العواصم من القواصم، وإبراهيم الجبهان وعبد الله محمد الغريب وإحسان إلهي ظهير،

وفي طليعة هؤلاء يأتي ابن تيمية المعاند للحق والمعروف بإنكاره المسلمات وتزييف الحقيقة والواقع والتحمل على أهل البيت عليهم السلام الذين طهرهم الله تعالى وإنكار فضائلهم وقلب الموازين ومجافاة الحق والمروءة والإنصاف والاستعداد بكل ما أوتي لتضعيف أو إنكار الأحاديث الصحاح والحسان لمجرد مخالفتها مذهبه وقد سجل هذا العيب عليه ابن حجر[1] وهو أمر معروف عنه عند المحدثين بحيث إن أحداً منهم لم يعتمد تضعيف ابن تيمية للأحاديث[2] وفي المقابل دفاعه المستميت عن أعداء أهل البيت عليهم السلام كالأمويين ومناصرتهم وفي مقدمتهم يزيد بن معاوية، فراح يبرر أفعاله المخزية ويلتمس الأعذار لتصرفاته المشينة والتأويل المجحف لجرائمه وموبقاته التي سجلها التاريخ واحتفظت به ذاكرة الزمان، فمما جاء عن يزيد قوله: (وأقوام يعتقدون أنه كان إماماً عادلاً هادياً مهدياً وإنه كان من أكابر الصحابة ومن أولياء الله تعالى وربما اعتقد بعضهم أنه من الأنبياء ويقولون من وقف في يزيد وقفه الله على نار جهنم)[3] ثم كافح ونافح عن يزيد وذب عنه كثيراً ولم يكتف بتبرير أفعاله من نقض لأحكام الشريعة وتعطيل لحدود الله وإيغاله بسفك دم الأبرياء وقتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهتك الحرمات واستباحة المدينة المنورة وقتل رجالها واستحياء نسائها وهدم الكعبة المشرفة وغيرها من الفواحش والبوائق لم يكتف بهذا فحسب بل تجرّأ على السنّة المطهّرة ورسولها الأعظم صلى الله عليه وآله

فقام بتكذيب أحاديثه الصحيحة وتحريف الأخرى منها والتعلق بالمضوعات والمفتريات لا في مقام الدفاع عن الأمويين ويزيدهم بل تزكيةً وتعظيماً لهم وسيأتي الكلام لا حقاً.

لعلّ أول ما يطالعنا به ابن تيمية قوله: (إن بني أمية ليسوا بأعظم جرحاً من بني إسرائيل فمعاوية حين أقر بسم الحسن فهو من باب قتال بعضهم بعضاً)[٤] ويزيد ليس بأعظم جرحاً من بني إسرائيل كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء وقتل الحسين ليس بأعظم من قتل الأنبياء[٥]. فكأن منطق القتل مسألة طبيعية جداً في عرف ابن تيمية لذا قاسها مع جرائم بني إسرائيل، ثم تتعدى نزعة التبرير هذه عنده للمحاولة في ستر جرائم يزيد فيقول: (ولا يقل أحد أنه كان على أسوأ الطرائق التي توجب الحدّ)[٦]، والعجب كل العجب أن الجرائم والانتهاكات التي قام بها يزيد من قتل سيد شباب أهل الجنة وإباحة المدينة المنورة وهدم الكعبة الشريفة بالمنجنيق والاعتداء على المحرمات وهتك الأعراض والافتضاض كل تلك الجرائم والموبقات لا توجب الحد عند (شيخ الإسلام) فكأن ما ذكره التاريخ عن شيخه يزيد بن معاوية لم يطرق سمعه وما شحنت به كتب السير والتراجم لم ينقله أحد بما يوجب الحد، ومع كل تلك الجرائم فهي ليست ذات بال قياساً مع جرائم بني إسرائيل بنظر ابن تيمية ومع أنه اعتراف منه بقيام يزيد بتلك الجرائم إلا منطق التبرير هذا يبيح قتال بعضهم البعض شرعته فما المانع من قتل سيد شباب أهل الجنة عليه السلام كونه أخف وطأة من قتل بني إسرائيل أنبياءهم!! بهذا المنطق وهذه الجرأة والصلافة والتأويل المجحف يبرر قتل الأنبياء وأبناء الأنبياء معرضاً بوجهه عن آيات القرآن الصادحة بتحريم قتل الأبرياء وسفك الدماء المحترمة فضلاً عن الأحاديث والروايات الداعية إلى عدم سفك الدماء بغير حق واحترام الإنسانية وصيانة حقوقه.

إن نزعة التبرير لدى ابن تيمية هذا تعتبر أن ما قام به يزيد هو اجتهاد منه فيقول: (وأما أهل التأويل المحض فأولئك مجتهدون مخطئون خطؤهم مغفور لهم وهم مثابون على ما أحسنوا فيه من حسن قصدهم واجتهادهم في طلب الحق واتباعه)[٧] ويدعم رأيه هذا زاعماً اتفاق العلماء عليه على (أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمجرد الذنوب ولا بمجرد التأويل وإن الشخص الواحد إذا كانت له حسنات وسيئات فأمره إلى الله تعالى)[٨] واستناداً إلى كلامه هذا فإن يزيد من أهل الحسنات إذن، ثم يضيف إلى ما سبق بأن (ما فعله يزيد في أهل الحرّة ما لا نستريب أنه عدوان محرم وكان له موقف في القسطنطينية ـ وهو أول جيش غزاها ـ ما يعد من الحسنات)[٩] وعليه فبالموازنة بين ما فعله يزيد في أهل الحرّة ـ وهو اعتراف صريح منه بعدوانه ـ وبين خروجه للقسطنطينية فإن الأمر الثاني حاكم على ما فعله في أهل الحرّة بل إنه مأجور في فعلته هذه إن أخطأ

لاجتهاده، وعلى كل التقادير فإن حكاية خروج يزيد في جيش القسطنطينية ما هي إلا منقبة مفتعلة أراد منها أبوه معاوية زجّه في ذلك الجيش ليجعل منه رمزاً ومغفوراً له مع أن المقصود بتلك الواقعة هو عثمان بن عوف (وبعد سنتين من مضي الواقعة أراد معاوية إلحاق يزيد بها فتثاقل من الذهاب إلى تلك الغزوة مستعيضاً عنها بالوسائد الوثيرة وبجانبه أم كلثوم امرأته)[10] وأما ما جاء عن أهل الحرّة وقتاله لهم واستباحة مدينة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فإن ابن تيمية يقدم لنا صورة أخرى مشوهة من صور الاعتذار عن يزيد وجرائمه فيقول: (فأما أهل الحرّة فإنهم لما خلعوا يزيد وأخرجوا نوابه أرسل إليهم مرّة بعد مرّة يطلب الطاعة فامتنعوا فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المرّي وأمره إذا ظهر عليهم أن يبيح المدينة ثلاثة أيام وهذا هو الذي عظم إنكار الناس له من فعل يزيد)[11] وبالتالي فإن ما قام به من جرائم فهو معذور فيها بل مأجور عند ابن تيمية في قتله الأبرياء والصالحين من المهاجرين والأنصار وأبنائهم وفيهم القرّاء ولم ينصَع لمنطق العقل والدين والضمير بما يقتضي البحث في أسباب خروج أهل المدينة على يزيد ولماذا كانت تلك الواقعة؟ وما الذي أراده يزيد منهم بعدها؟ فقد (عظم إنكار الناس لإباحته المدينة واغتصاب نسائها حتى افتضت نحو ألف عذراء)[12] ومع هذا الفعل الشنيع يعتذر ابن تيمية لخليفته بالقول: (لكنه - أي يزيد - لم يقتل جميع الأشراف ولا بلغ عدد القتلى عشرة آلاف ولا وصلت الدماء إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله)[13] فكأن القتل أمر طبيعي جداً إذا لم يبلغ العدد المذكور ولم يصل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وكأنه تبرير لانتهاك الحرمات والاعتداء على الدماء البريئة، فبهذا المنطق وهذه الفلسفة وهذه التأويلات الفاسدة استند الظالمون وثبتوا عروشهم وبرروا شرعية حكمهم، ففي كل زمان حزمة من فقهاء السوء والسلطان من يبرر عمل الظالم ويلتمس له المعاذير ولو كانت على حساب الدين والدماء البريئة فإن العصبية الرعناء تعمي وتصم وتصبح عندها الفتاوى جاهزة، وإن هذا وأمثاله هو الذي غذى الحركات الإرهابية فيما مضى وإلى الآن.

ولابد من بيان الأسباب التي دعت إلى حركة المدينة، فقد شخص أمير حركتها عبد الله بن حنظلة وأبوه هذا هو المعروف بغسيل الملائكة، يقول عبد الله في سبب خروجه على يزيد: (والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة)[14] فهذا هو إذن ذنب أهل المدينة في خروجهم على خليفة ابن تيمية فما من حقهم الخروج باعتباره خليفة وإن شرب الخمر وزنى بالمحارم وقتل الأبرياء كونه الخليفة المطاع ويلزمه التأويل الفاسد في القتل بل هو مثاب ومأجور ومن أبى فإن السيف وفتاوى السوء والتكفير تنتظره، لذا أوجب يزيد على من بقي من أهل المدينة البيعة على أنه من أبى ضربت عنقه حتى وإن استدعى الأمر إلى حرق الكعبة، فقد ذكر المؤرخون أن جيش يزيد لما انتهى من القضاء على حركة

أهل المدينة في واقعة الحرّة توجه إلى مكة قاصداً ابن الزبير الذي كان معتصماً بها فحوصر ورمى بالمنجنيق حتى أحرقت الكعبة، ولا بأس في ذلك أو ضير فإن الأمر جائز باعتباره غير مقصود في عرف ابن تيمية إذ يقول: (إن حريق الكعبة لم يقصده يزيد وإنما كان مقصوده حصار ابن الزبير والضرب بالمنجنيق كان له لا للكعبة، ويزيد لم يهدم الكعبة ولم يقصد إحراقها لا هو ولا نوابه باتفاق المسلمين)[١٥] هذا إذن دين ابن تيمية وليس دين محمد صلى الله عليه وآله فإن دين الله أسمى من الدعوة لقتل عباد الله وحرق بيته الشريف وتبرير أفعال الظلمة والمفسدين فإن هذا الفهم المعوج والرأي المنحرف وتلك العقيدة الفارغة هي التي رسخت قواعد حكام الجور وشوهت صورة الإسلام الأصيل، واستناداً إلى كلامه هذا فإن قتل الحسين عليه السلام لا يعد في ذنوب يزيد ولا هو من المنكرات، فإن مما تنكر له ابن تيمية (إن يزيد لم يظهر الرضى بقتله وأنه أظهر الألم بقتله والله أعلم بسريرته وقد عُلم أنه لم يأمر بقتله ابتداء، ولكنه مع ذلك ما انتقم من قاتليه ولا عاقبهم على ما فعلوا إذ كانوا قتلوه لحفظ ملكه..)[١٦] ومعنى هذا الكلام أن ابن تيمية لم يكن من دأبه وديدنه إنكار المسلمات والحقائق فحسب بل التجاهل والتغاضي عما تسالمت عليه كتب التاريخ، فكأن ما ذكرته الكتب ما طرق بسمعه. وللرد على مزاعمه هذه أن عبيد الله بن زياد اعترف لصاحبه مسافر بن شريح اليشكري بقتله للحسين عليه السلام فقال: (أما قتلي الحسين فإنه أشار إليَّ يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله)[١٧]، وممن ذكر هذه الحقيقة وأثبتها ابن العماد الحنبلي[١٨] والشبراوي[١٩] وغيرهم كثير، فليس بمستغرب من (شيخ الإسلام) هذا الكلام وأسوأ منه مراغمته للقرآن الكريم الذي أعطى حق العترة ومودتها مستنكراً ومؤولاً تلك الآيات النازلة بحقهم عليهم السلام خدمة لأسياده الأمويين ودفاعاً عن سيدهم يزيد، فلا ينتظر منه أن يثني على نهضة الحسين عليه السلام ولا من شأنه أن يتمثل تلك المواقف النبيلة ومنها ما أعلنه عليه السلام في أحد بياناته: **(أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيّر)**[٢٠] فعن هذا الموقف يقول ابن تيمية: (هذا رأي فاسد فإن مفسدته أعظم من مصلحته وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولّد على فعله من الشر أعظم مما تولّد من الخير)[٢١] ويقول أيضاً: (ولم يكن في خروجه مصلحة لا في دين ولا في دنيا وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن

يحصل لو قعد في بلده)[٢٢]. أجل الوقوف بوجه الظلم ومقاومة الانحراف يعد مفسدة في دين ابن تيمية والرضا بحياة الذل والخنوع وتبرير أفعال الظالمين في القتل والتشريد وسفك الدماء مصلحة في عرف هؤلاء، والغريب بنفس الوقت إنه يريد أن يعرّف سيد الشهداء موقفه الشرعي ويعد ذلك في أن خروجه ما فيه مصلحة لا في دين ولا في دنيا في عرف فقهاء السلطان وكأن آيات القرآن لم تطرق سمعه آناء الليل وأطراف النهار، قال تعالى: (**ولا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**)(هود:١١٣) وعلى منطق ابن تيمية أنه كذلك لا يصح للأنبياء والرسل وأصحاب الرسالات الخروج على أي ظالم مهما ارتكب لأن في خروجهم الشر وإن المفسدة المترتبة على خروجهم أعظم من المصلحة وهو الذي يعلمهم تكليفهم فهل غاب عنه قوله تعالى: (**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ**) (البقرة:١٥٤) وقوله: (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) (آل عمران:١٦٩) كلا لم تغب عن باله هذه الآيات وأمثالها وإنما العصبية والأضغان هي التي تعمي عن رؤية الواقع وقول الحق وإلا في أي عقل وفي أي منطق ودين يعتبر الوقوف بوجه الباطل ومواجهة الانحراف مجلبة للشر؟ وكأنه صار من العرف السائد لغة الخنوع والخضوع والذل والاستكانة مهما بلغت وحشية الظالم من اعتداء وابتزاز ومصادرة الحريات وسحق الكرامات وأقبح منه وألعن من يلتمس له المعاذير

من فقهاء السلاطين، فهم الذين يحددون الواقع ويرسمون خطى الطغاة، لذا تجد من ضمن تبريراتهم السيئة اعتبار الخروج على السلطان بغيًا مهما ارتكب وإن كان سيد شباب أهل الجنة (لأن خروجه مما أوجب الفتن)[٢٣] والمقصود بالفتن في قاموس ابن تيمية ودينه أن الحسين عليه السلام هو المسبب لها بما أفضى إلى خروج أهل المدينة على يزيد في واقعة الحرة وما قام به ابن الزبير وحركة التوابين وكذا حركة القرّاء ونهضة زيد بن علي وغيرها من الحركات والنهضات التي استهدفت صميم الباطل. أجل غير مألوف هذا الأمر وإنما المتعارف عند هؤلاء الدعوة إلى العبودية والهوان وحياة الذل والامتهان وبخلافه القتل وسفك الدماء والاضطهاد ولعل أسوأ ما يمثله استغلال الدين هو التسخير البشع في خدمة الظالم والتأويل المجحف لنصوصه خدمة للحكام الجائرين وتعال معي لنتعرف إلى الأكاذيب الأخرى لـ (شيخ الإسلام) التي يرسلها إرسال المسلمات فقد جمع المؤرخون في قضية شهادة الحسين عليه السلام على حز رأسه الشريف وحمله مع رؤوس من استشهد معه بصحبة السبايا إلى الشام وإدخالها على يزيد، أما عند ابن تيمية فإن (نقل رأس الحسين إلى الشام لا أصل له في زمن يزيد)[٢٤] ويضيف إلى ذلك (أن القضية التي يذكرون فيها حمل الرأس إلى يزيد ونكته بالقضيب كذبوا فيها)[٢٥] وكعادته في الكذب واقتطاع النصوص يقول: (والمصنفون من أهل الحديث في ذلك كالبغوي وابن أبي الدنيا ونحوهما هم بذلك أعلم وأصدق بلا نزاع بين أهل العلم)[٢٦] وكذلك (من المعلوم أن الزبير بن بكار ومحمد بن سعد صاحب الطبقات أعلم بهذا الباب وأصدق في ما ينقلونه من المجاهيل الكذابين)[٢٧] وينتهي إلى (أن الذين جمعوا أخبار الحسين عليه السلام ومقتله مثل ابن أبي الدنيا والبغوي وغيرهما لم يذكر أحد منهم أن الرأس حمل إلى عسقلان أو القاهرة)[٢٨] ويمكن لنا بيان جلية الحال بالرجوع إلى ما قاله هؤلاء لتتضح الحقيقة ويثبت الصحيح أم الكذب، فقد نقل ابن الجوزي في كتابه الرد على المتعصب العنيد كلام المذكورين في شأن الموضوع فيقول: (قال ابن أبي الدنيا ثم دعا ابن زياد زحر بن قيس فبعث معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد)[٢٩] وقال ابن أبي الدنيا: وضع رأس الحسين بين يدي يزيد وعنده أبو برزة فجعل يزيد ينكت بعصاه على فيه، ويقول:

يفلقن هاماً من رجال أعزةٍ
علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

قال ابن الجوزي وهو ينقل عن أبي الدنيا ومحمد بن سعد عن مجاهد قال جيء برأس الحسين بن علي فوضع بين يدي يزيد بن معاوية فتمثل هذين البيتين:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً

ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قال مجاهد نافق فيها ثم والله ما بقي

في عسكره أحد إلا تركه أي عابه وذمّه[٣٠]. وأخرج الذهبي عن الزبير بن بكار والليث بن سعد أنهما ذكرا حمل الرأس إلى الشام ووضعه بين يدي يزيد وتمثل يزيد بالبيتين، ثم قال الذهبي: وقال ابن سعد ـ صاحب الطبقات ـ والمديني عن رجالهما قُدم برأس الحسين على يزيد[٣١]. هذا هو إذن مبلغ صدق (شيخ الإسلام) ابن تيمية وهذه هي أمانته على التاريخ فإن العصبية الجاهلية والحقد الدفين لا شك يخرج الانسان عن طوره ويفقده توازنه فتجعله يتخبط وإن دعا ذلك إلى الكذب والافتراء والبهتان، والغريب أنه لا زال (شيخ الإسلام) بنظر محبيه والمعجبين بفكره، ولنستمع بعد إلى مغالطاته وأكاذيبه الأخرى، فقد أنكر وكَذّبَ مصيبة سبي نساء العترة بعد الواقعة مع أنه قد أجمع المؤرخون على ذلك فبعد استشهاد الحسين عليه السلام ورجاله حملوا رؤوسهم إلى ابن زياد ومنه إلى يزيد في الشام معها نساء أهل البيت عليهم السلام بعد انتهابهن وسلب الشهداء مع تركهم على الرمضاء بالعراء، ولكن ابن تيمية كعادته يقول: (ويزيد لم يَسْبِ للحسين حريماً بل أكرم أهل بيته)[٣٢] وقد ذكر هذا الأمر محمد بن سعد صاحب الطبقات وابن أبي الدنيا كذلك، اللذين أبدى ابن تيمية ثقته بهما[٣٣] وقال ابن حبان: (أنفذ عبيد بن زياد رأس الحسين بن علي إلى الشام مع أسارى النساء والصبيان من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله على أقتاب مكشفات الوجوه والشعور. وأدخلوا دمشق كذلك فلما وضع الرأس بين يدي يزيد بن معاوية جعل ينقر ثنيته بقضيب كان في يده ويقول: ما أحسن ثناياه)[٣٤] وهذا العمل الشنيع هو الذي دعا عبد الله بن عباس أن يبعث بكتاب إلى يزيد موبخاً إياه على فعله الشنيع هذا[٣٥].

هذا ما تيسر لنا جمعه ونكتفي خوف الإطالة أكثر لكن به الكفاية لأهل العلم والدراية. وبعد كل الذي ذكر أو يقال ستبقى نهضة أبي الأحرار تمد الأجيال بدروس التضحية والعبر لتأخذ منها معالم كفاحها ونضالها ضد الطواغيت برغم ما يحاوله المرجفون وأصحاب الأقلام المأجورة والأفواه المسعورة للمحاولة في تزوير الحقائق وتشويه الحق الناصع والتعتيم على الواقع الأبلج وتزيين الباطل كل تلك المحاولات وما بعدها لم تفلح أمام ذلك البريق والشعلة الوهاجة والدرب اللاعب الذي رسمه الإمام الحسين عليه السلام. ستبقى نهضته تنير دروب الكفاح ضد الفساد والمفسدين ومناراً لأحرار العالم وستبقى معها الأقلام الحرة والضمائر الحية وستندحر كل محاولات السوء والتلفيق، فما كان لله ينموا برغم ما أراده أصحاب النيات السوداء والأغراض الخبيثة ممن لا تروقهم قواعد الحضارة الإسلامية الصحيحة في إقامة صرح الإنسانية الخالدة على أسس الحق والإنصاف والحرية والعدالة الاجتماعية.■

---

١) لسان الميزان ٦/ ٣١٩.

٢) ينظر الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٤٤، ٤٠٠.

٣) ابن تيمية: الوصية الكبرى ص٥٢.

٤) ابن تيمية: منهاج السنة ٢/ ٢٢٥.

٥) منهاج السنة ٢/ ٢٤٣.

٦) ابن تيمية رأس الحسين عليه السلام ص٢٠٧.
٧) المصدر نفسه ص٢٠٤.
٨) ابن تيمية: رأس الحسين عليه السلام ص٢٠٦.
٩) المصدر نفسه ص٢٠٧.
١٠) ذكر تلك الحكاية ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٤٥٨ الحموي، ياقوت: معجم العلوان في تعريفه: (دير مرّان) نقلاً عن الطبراني.
١١) ابن تيمية: منهاج السنة ٢/ ٢٥٦، الوصية الكبرى ص٥٤.
١٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص١٩٥.
١٣) ابن تيمية: منهاج السنة ٢/ ٢٥٣.
١٤) تاريخ الخلفاء ص١٦٥.
١٥) منهاج السنة ٢/ ٢٥٤.
١٦) رأس الحسين ص٢٠٧.
١٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/١٤٠.
١٨) شذرات الذهب ١/ ٦٨- ٦٩.
١٩) الأتحاف بحب الأشراف ص٦٢، ٦٥.
٢٠) الكامل في التاريخ ٤/ ٤٨.
٢١) منهاج السنة ٢/ ٢٤١.
٢٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
٢٣) منهاج السنة ٢/٢٤٢.
٢٤) رأس الحسين ص٢٠٧.
٢٥) المصدر نفسه ص٢٠٦.
٢٦) المصدر نفسه والصفحة.
٢٧) المصدر نفسه ص١٩٨.
٢٨) المصدر نفسه ص١٩٧.
٢٩) ابن الجوزي: الرد على المتعصب العنيد ص٤٥.
٣٠) ابن الجوزي: الرد على المتعصب العنيد ص٤٧- ٤٨.
٣١) الذهبي تاريخ الإسلام ٥/١٨- ١٩.
٣٢) منهاج السنة.
٣٣) ينظر ابن الجوزي: الرد على المتعصب العنيد ص٤٠.
٣٤) ابن حبان: الثقات ٢/٣١٢- ٣١٣.
٣٥) ينظر اليعقوبي: التاريخ ٢/٢٥٠.

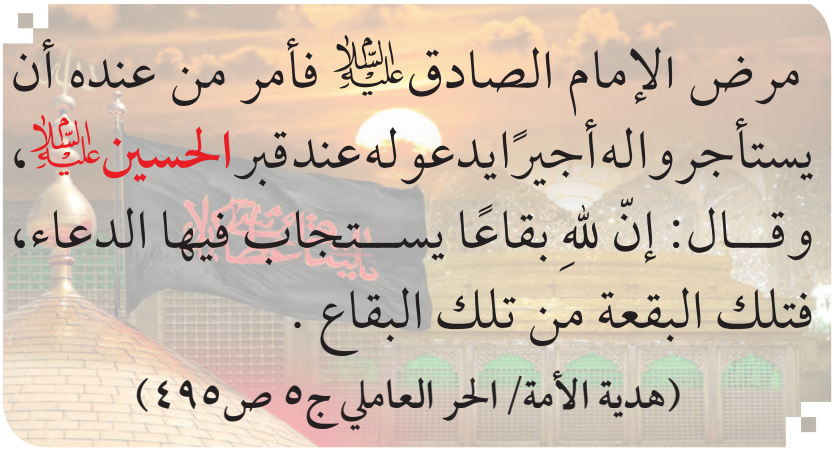

الساعة الأخيرة

م. فارس عطية الحداد •

ينابيع

ـ الحسين بن علي عليه السلام ينادي هل من ناصر ينصرنا؟ هل من ذاب يذب عنا؟.

ـ الرضيع عليه السلام سمع النداء، فأجاب: لبيك أبا عبد الله.

ـ زينب بنت علي عليها السلام: لماذا تبكي يابن أخي ليس لدينا ماء لنسقيك، ولا عند أمك لبن لترضعك، فقد جف لبنها من شدة العطش.

ـ الرضيع: ليت عمتي تدري ما أريد، أنا لا أبكي ولكن لغتي البكاء، أريد ان ألبي النداء.

ـ زينب عليها السلام: يابن أخي، لا أدري ما أفعل؟ لكن سأحملك إلى أبيك لعله يسليك أو تسليه فينسيك حرارة العطش.

ـ توقف الرضيع عن البكاء لأن عمته ستحقق له ما يريد.

ـ أصبح الرضيع بين يدي سيده وإمامه أبي عبد الله...يا سيدي أنت تفهم لغتي، أنا لا أبكي من شدة العطش، إنما أريد أن أستشهد بين يديك، احملني إلى المعركة، فهذا قراري عن إرادة واختيار لأدرك الفتح بشهادتي بين يديك سيدي أبا عبدالله.

ـ سأحقق لك ما تريد ولكن كيف تقاتل الأعداء وأنت رضيع؟

ـ أقاتلهم بنحري وبقطرات دمي، أقاتلهم بنظراتي الحادة لهم، فهي نظرات الشجعان، سأمزق وحدتهم وألقي في قلوبهم الرعب، ويكون دمي البريء دم الطفولة حرارة في قلوب الأحرار تلعن الظلم والظالمين ويكون نحري المحزوز مواساة لكل أم يُسحق رضيعها تحت سنابك الخيل أو الدبابات أو يقتل بالكيمياوي.

ـ وهل تقوى ياولدي على تحمل حر الحديد وأنت في هذا العمر...؟!.....

ـ نعم، يا أبتي فدين جدي يستحق هذا، وكمال نهضتك يستحق هذا، وإدراكي الفتح يستحق هذا، فافعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين.....

ـ إلهي إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى .....

ـ هوّن ما نزل بي أنه بعين الله.....

ـ كم رضيع بنبلة حرملة قد فطما.....؟؟؟

أجوبة مسابقة العدد (٥٧) - (٥٨)
وأسماء الفائزين

الســـؤال الأول: ب/ يزيد بن قعنب

الســـؤال الثاني: ج/ اللهم إني أسألك صبر الشاكرين

الســـؤال الثالث: ج/ ٧

الســـؤال الرابع: ج/ عبد الباقي أفندي العمري

السؤال الخامس: ج/ في كليهما

السؤال السادس: ب/ حلب/ ٥٨٨هـ

الســـؤال السابع: ج/ الإمام علي عليه السلام نبراس ومتراس

الســـؤال الثامن: أ/ السبت

الســـؤال التاسع: أ/ رأس العين

الفائز بالجائزة الأولى: بشرى هادي كاظم/ بابل/ بيرمانة .

الفائز بالجائزة الثانية: جواد كاظم ديكان/ بابل/ المهندسين.

الفائز بالجائزة الثالثة: قيس جواد السماوي/ كربلاء المقدسة/ طويريج

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٦٠)

١ هانئ بن هانئ السبيعي، أحد شخصيات أهل الكوفة وقد أرسلوه إلى الإمام الحسين عليه السلام لكي يوصل إليه رسائلهم وقد سار بصحبته شخص آخر من أهل الكوفة، فمن هو؟

أ- قيس بن مسهر الصيداوي

ب- عبد الله بن سعيد الحنفي

ج- عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي

٢ منزل من المنازل التي مرّ بها الإمام الحسين عليه السلام أثناء طريقه إلى الكوفة، وقد التقى فيه برجل كوفي ولما استعلم منه عن أهل الكوفة، أخبره باجتماعهم عليه عليه السلام فقال الحسين عليه السلام: (إن لله الأمر...)، فما اسم هذا المنزل؟

أ- الشقوق ب- الخزيمية ج- زرود

٣ لما بلغ عبيد الله بن زياد أن الإمام الحسين كان يستقي الماء من الفرات في بداية المنع، بعث عمرو بن الحجاج الزبيدي ومعه كتيبة، فنزلوا على الشريعة وضيقوا عليه غاية التضييق فمتى وصلت تلك الكتيبة؟

أ- قبل مقتل الإمام الحسين عليه السلام بيوم واحد.

ب- قبل مقتله عليه السلام بيومين.

ج- قبل مقتله عليه السلام بثلاثة أيام.

٤ **من أولاد الإمام الحسن عليه السلام، أمه فاطمة بنت أبي مسعود الخزرجي، أدرك واقعة كربلاء ولكنه لم يأت مع عمه الإمام الحسين عليه السلام إليها بل ظل في المدينة حتى وفاته سنة ١٢٠هـ فمن هو؟**

أ- الحسن المثنى ب- الحسين الأثرم ج- زيد

كوبون المسابقة

ينابيع ٦٠

جواب السؤال الأول

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثاني

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثالث

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الرابع

أ	
ب	
ج	

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. ويخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ربيع ٢/ ١٤٣٦هـ

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ من أنصار الإمام الحسين عليه السلام، حمله خوفه على الإمام أن خرج وراءه ليلة العاشر من المحرم عندما أراد الإمام أن يتحرى وضع التلال المحيطة بمنزلهم لئلا تكون مكمناً للعدو، فمن هو؟

أ- نافع بن هلال الجملي ب- زهير بن القين البجلي

ج- حبيب بن مظاهر الأسدي.

٦ عبد الله بن مسلم بن عقيل، شهيد من شهداء كربلاء، خرج للحرب بعد استشهاد علي الأكبر عليه السلام أرتجز في الحرب قائلاً: اليوم ألقى مسلماً أبي....وعصبة بادوا على دين النبي قتل جماعة من الأعداء ولكن كانت له عدة حملات، فكم كان عددها؟

أ- حملتان ب- ثلاث حملات

ج- أربع حملات

٧ (الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل)، كلام ذيّله أهل الكوفة في كتاب أرسلوه للإمام الحسين عليه السلام، وقد ذكر في صدر الكتاب عدد من الأسماء الصريحة لشخصيات مشهورة، فكم كان ذلك العدد؟

أ- ٣ ب- ٤ ج- ٥

٨ من خطاب للإمام الحسين عليه السلام ألقاه على معسكر ابن سعد حيث قال: (فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحمشتم علينا ناراً أضرمناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم البا على أوليائكم)، فما معنى كلمة (حمشتم)؟

أ- جمعتم ب- أوقدتم ج- أبعدتم

٩ روى زيد بن أرقم إن حملة رأس الحسين عليه السلام مرّوا عليه وهو في غرفة له بالكوفة فسمعه يتلو آية من القرآن الكريم، فأي آية كان الرأس الشريف يتلوها؟

أ- أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا.

ب- إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى.

ج- وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

یا حسین
یا حسین
یا حسین
یا حسین

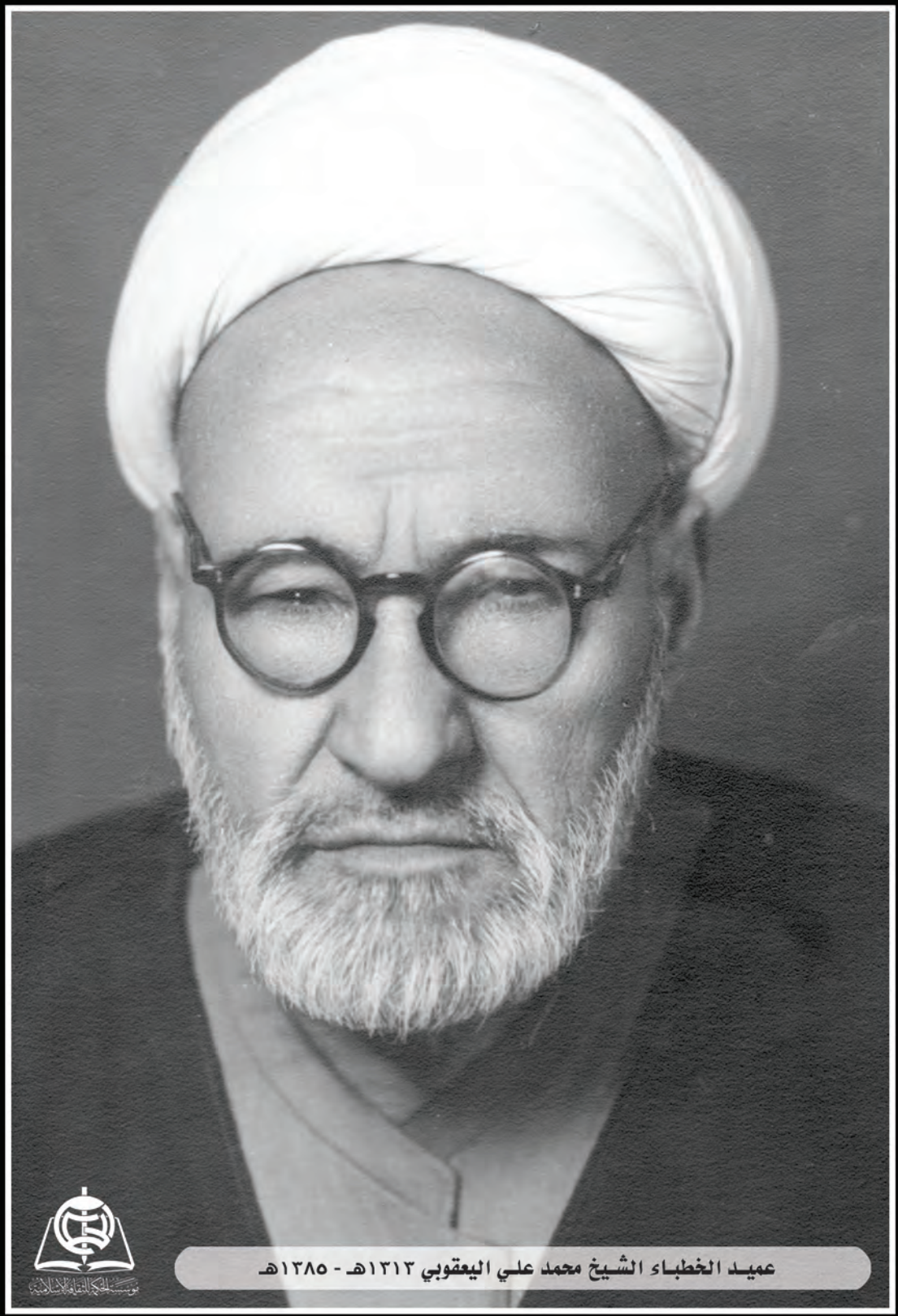

عميد الخطباء الشيخ محمد علي اليعقوبي ١٣١٣هـ - ١٣٨٥هـ